الفصل الثانى
مصطلح التاريخ الإسلامي

الفصل الثانى
مصطلح التاريخ الإسلامي

مصطلح التاريخ

وردت لفظة تاريخ في كتب اللغة بمعنى الوقت .

ففي الجمهرة لابن دريد : ورَّخت الكتاب وأرَّخته ، ومتى أرِّخ كتابك ووُرِّخ أي متى كتب **وفي لسان العرب لابن منظور : التأريخ والتوريخ : تعريف الوقت ، أرخ الكتاب ليوم كذا : وقته .**

ويقال : أنَّ اللفظة ليست عربية محضة وأنَّ المسلمين أخذوها من أهل الكتاب وقيل أنَّها عربية .

أقول : بل هي أكدية وبابلية ووردت بصيغة (أَراخ) (arah) (أرخا) (Arha) (أرخو) (Arhu) و(ورخو) (warhu) وتعني (القمر) (الهلال) (الشهر) (أوّل الشهر) .

وفي السبئية (ورخ) وكان العرب الجنوبيون إذا أرادوا التاريخ قالوا (ورخ كذا ...) أي شهر كذا .

وفي العبرية (ياريحا) (تعني (القمر) و(يرح) ( ) تعني شهر ، وفي السريانية كذلك .

ومن الجدير ذكره أنَّ اللغة الأكدية أقدم من اللغة العبرية وهذه أقدم من اللغة السريانية ، بل أنَّ العلاقات التاريخية والخصائص المشتركة بينها تفرض القول أنَّ السريانية متفرعة عن العبرية وهذه متفرعة عن الأكدية .

"استعملت كلمة تاريخ في العصر الاسلامي الأول بمعنى التقويم

والتوقيت على أساس القمر ، ثم كسبت معنى آخر هو تسجيل الاحداث على أساس الزمن ، وكان يقوم مقامها في معنى هذه العملية التاريخية كلمة خبر وأخبار وأخباري ، ثم بدأت كلمة تاريخ تحل بالتدريج محل كلمة خبر وأخذت تطلق على عملية التدوين التاريخي وعلى حفظ الأخبار بشكل متسلسل ، متصل الزمن ، والموضوع للدلالة على هذا النوع الجديد من التطور في الخبر والعملية الاخبارية وكان ذلك على ما يبدو منذ أواسط القرن الثاني الهجري فما أطلَّ القرن الثالث حتَّى صارت كلمة التاريخ تطلق على العلم بأحداث التاريخ وأخبار الرجال وعلى الكتب التي تحوي ذلك وحلت نهائياً محل كلمة الخبر والاخباري .

وأقدم المؤلفات التي حملت اسم التاريخ هو كتاب التاريخ لعوانة بن الحكم الاخباري الكوفي (ت١٤٧هـ) ، تناول فيه أحداث التاريخ الاسلامي في القرن الأول الهجري .

ثم كتب هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت٢٠٤هـ) ، كتاب التاريخ على السنين وكتاب تاريخ الأشراف الكبير .

واستقرت من بعد ذلك التسمية وإنتشرت واحتلَّت عناوين العشرات من الكتب في القرن الثالث الهجري .

وقد حملت بعض كتب التراجم بدورها عنوان التاريخ في تلك الفترة مع أنَّ بعضها كان يُدعى من قبلُ بالطبقات . ككتاب التاريخ الكبير والتاريخ الاوسط والتاريخ الصغير للبخاري (ت٢٥٦هـ) . وكلها

في تراجم رجال الحديث" .

مصطلح التاريخ الإسلامي

يراد بـ (التاريخ الاسلامي) في ضوء كون الإسلام اسماً خاصّاً للدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله : تاريخ النبي الخاتم وتاريخ المسلمين .

أمَّا في ضوء كون الإسلام اسماً للدين الذي جاء به الأنبياء جميعاً فيراد به : مضافاً إلى ما سبق تاريخ الأنبياء وأممهم .

الإسلام اسم لدين الله

إنَّ لفظة الاسلام في القرآن الكريم أُطلقت إسماً لدين الله الذي جاء به الأنبياء من عند الله ، قال تعالى : **(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّه الإِسلاَمُ)** آل عمران/١٩ كما أُطلقت لفظة المسلمين على الأنبياء والذين إتبعوهم منذ نوح عليه السلام .

قال الله تعالى : **(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّه فَعَلَى اللّه تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونَ (٧١) فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّه وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ(٧٢))**يونس/٧١- ٧٢ .

وقال الله تعالى : **(وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّه اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ)** البقرة/١٣٢ .

وقال الله تعالى : **(وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّه فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ)**يونس/٨٤ .

وقال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام : (... **وَأُوتِينَا العِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ**)النمل/٤٢ .

وقال الله تعالى : (**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إلى اللّه قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّه آمَنَّا بِاللّه وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**) آل عمران/٥٢ .

وفي الحديث عن الامام الصادق عليه السلام : (دين الله اسمه الإسلام وهو دين الله قبل أن تكونوا حيث كنتم وبعد أن تكونوا ، فمن أقرَّ بدين الله فهو مسلم ومن عمل بما أمر الله عزّ وجلَّ به فهو مؤمن) .

ويبدو أنَّ هذا الإستعمال كان موجوداً ومتداولاً إلى القرن الثالث الهجري .

روى الطبري بسنده إلى ابن إسحاق : إنّ عادا لما أصابهم من القحط ما أصابهم قالوا : جهزوا منكم وفداً إلى مكة فيستقوا لكم ، فبعثوا قيل : بن عتر ونعيم بن هزال إلى مرثد بن سعد وكان مسلماً يكتم إسلامه ، إلى أن قال : فقال مرثد إنَّكم والله لا تستقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وأنبتم إليه سُقيتم ، فأظهر إسلامه عند ذلك .

وقد جرت عادة المؤرخين القدامى من المسلمين ، أمثال اليعقوبي (ت٢٧٨هـ) وأبي حنيفة الدينوري (ت٢٨٢هـ) والطبري (ت٣١٠هـ) والمسعودي (ت٣٤٦هـ) . ومسكويه (ت٤٢١هـ) أن يبدأوا تواريخهم بقصص الأنبياء منذ آدم عليه السلام .

وحذا حذو هؤلاء أيضاً من جاء بعدهم من المؤرخين المتأخرين أمثال ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) وسبط بن الجوزي (ت٦٥٤هـ) وأبي الفداء (ت٧٣٢هـ) وابن الوردي (ت٧٤٩هـ) وابن كثير (ت٧٧٤هـ) وابن خلدون (ت٨٠٨هـ) .

وعلى الرغم من كثرة الموسوعات التاريخية التي كتبها المؤرخون المسلمون بالنهج الشامل الآنف الذكر ومن عرض القرآن قبل ذلك لقصص الأنبياء على أنَّها تاريخ الإسلام والمسلمين ، إقتصرت لفظة (التاريخ الإسلامي) في العصور المتأخرة في الدلالة على الحوادث التاريخية المبتدئة بسيرة الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله والمسلمين معه ومن جاء بعدهم .

مصطلح السيرة

تتكوَّن حياة كل إنسان وسيرته من نوعين من الوقائع :

الأوَّل : وقائع يتشكَّل بها (تاريخ حياته) بدءاً بولادته وظروف نشأته وانتهاءً بوفاته وظروف موته ، وطبيعة هذا النوع من الوقائع غير قابل للتكرار والإعادة .

الثاني : وقائع تتشكَّل بها (طريقته في الحياة) ونهجه ومذهبه العملي فيها وتتألف من عاداته اليومية وسلوكاته المختلفة إزاء الحوادث والأشياء المحيطة به ، وطبيعة هذا النوع من الوقائع متكرر ومعاد ومن هنا سمِّي (عادة) و(طريقة) .

والأنبياء كبشر ، لا تشذ حياتهم وسيرتهم عن التقسيم الآنف الذكر .

الوقائع التاريخية من السيرة النبوية

الوقائع التاريخية من السيرة النبوية : هي الوقائع التي يتشكّل بها تاريخ حياة النبي المباركة .

من قبيل ولادة موسى وظروفها ، ونشأته في قصر فرعون ، ثم قتله للمصري ، وهربه من مصر ، ثمَّ إستقراره في مدين وزواجه هناك ، ثمَّ رجوعه إلى مصر ، ووحي الله له في الطريق وتكليفه بالرسالة ، إلى آخر الحوادث التي يتشكل بها تاريخ حياته عليه السلام .

أو من قبيل ولادة محمد صلى الله عليه وآله وظروفها ، ثم نشأته في كنف جده عبد المطلب وعمه أبي طالب ، ثم زواجه بخديجة ، ثم اشتراكه بحلف الفضول ووضعه الحجر الاسود بيده في مكانه لما بنت قريش الكعبة ، ثم تعبده في غار حراء ، ثم نزول الوحي عليه وسماع علي عليه السلامحيث كان معه انذاك رنة الشيطان ، إلى آخر الحوادث التي يتشكّل بها تاريخ حياته الشريفة .

وهذا النوع من الوقائع والحوادث يسميه القرآن الكريم بـ (القصص) أو (الأنباء) أو (الأحاديث) ثم أُطلق عليه من قبل المسلمين في القرن الأوّل والثاني الهجريين بـ (السيرة) وفيما بعد سميت بـ (الأخبار) ثم بـ (التاريخ) .

(والسيرة النبوية) حين نجدها عنواناً لعشرات أو مئات من الكتب ككتاب السيرة النبوية لابن إسحاق مثلاً يراد بها أساساً (تاريخ النبي صلى الله عليه وآله) أي (قصص) حياته من الولادة حتَّى الوفاة .

الوقائع السلوكية من السيرة

الوقائع السلوكية من السيرة : هي الوقائع والأفعال التي تتشكّل بها (طريقة) حياة النبي المباركة ونهجه العملي في الحياة .

وتتألف من عاداته اليومية وسلوكاته المتنوعة إزاء الحوادث والأشياء المحيطة به ، وتتحدد بالكتاب الإلهي الذي نزل عليه ، وبيانه الذي أُوحي إليه ، وما شرَّعه النبي صلى الله عليه وآله إستناداً إلى إذن الله تعالى له

كتب السيرة والسنة النبوية

عنيت كتب السيرة النبوية وكتب التاريخ الإسلامي والتراجم بـ (تاريخ النبي وقصص حياته) ولكنّها مع ذلك لم تخلُ من أخبار عن طريقة النبي صلى الله عليه وآله في الحياة ولا من أحاديثه حيث أورد المؤلفون طرفاً في ذلك مبثوثاً ومفرَّقاً على الوقائع والمناسبات .

أمَّا كتب السنّة النبوية فقد عنيت بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأفعاله وتقريراته ومع ذلك فقد ضمَّت قدراً من تاريخ النبي صلى الله عليه وآله وغزواته صلى الله عليه وآله ولكن لا على سبيل الإستقصاء .

أهداف دراسة السيرة النبوية

توجد ثلاث زوايا لدراسة السيرة النبوية المطهّرة وهي :

الأول : الزاوية التشريعية وحقلها الواقعة السلوكية .

الثاني : الزاوية العقائدية وحقلها الواقعة التاريخية .

الثالث : الزاوية التربوية وحقلها السيرة بكلا قسميها السلوكي والتاريخي .

وفيما يلي بيان مختصر عن كل زاوية :

الزاوية التشريعية

إنَّ دراستنا للسيرة النبوية او سيرة أهل بيته المعصومين من هذه الزاوية تهدف إلى معرفة الحكم الشرعي من خلال الواقعة السلوكية سواء كانت هذه الواقعة فعلاً مباشراً صدر من النبي صلى الله عليه وآله ، أو كان إقراراً منه لسلوك أحد المسلمين صدر أمامه ، وسواء كانت الواقعة السلوكية ضمن وقائع الحياة اليومية المتكررة للنبي كالصلاة مثلاً ، أو كانت ضمن واقعة تاريخية واحدة كقسمته صلى الله عليه وآله لغنائم الحرب في معركة بدر .

وتقوم هذه الزاوية من الدراسة على أساس العقيدة بعصمة النبي صلى الله عليه وآله وعصمة أهل بيته وكونهم قد جعلوا للناس أئمة يقتدى بهم احياءً وامواتا .

الزاوية العقائدية

إنَّ دراستنا للسيرة بهذه الزاوية تهدف إلى معرفة ما تنطوي عليه حوادث التاريخ النبوي من دلالات عقائدية .

وتقوم هذه الزاوية من الدراسة على أساس أنَّ النبي صلى الله عليه وآله شخص صُنِع على عين الله تعالى فجاءت حياته منذ ولادته ، بل قبل ولادته حقلاً تظهر فيه رعاية الله تعالى الخاصّة بشكل ملحوظ ، وتشتدُّ هذه الظاهرة عند البعثة وحتى إلتحاق النبي بالرفيق الأعلى ،

ومن هنا تكون قصص حياة النبي والوصي تجسيداً للعقيدة الإسلامية بالله وبالنبي والوصي ، وبسبب ذلك سمّى القرآن الكريم هذه القصص والحوادث بـ (الآيات) ودعا الإنسان إلى التفكير فيها لأخذ العبرة منها وجعلها نظيراً للظواهر الكونية حيث سمّاها (آيات) أيضاً ودعا الإنسان إلى التفكير فيها وأخذ العبرة منها أيضاً .

قال الله تعالى : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْك أَحْسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْك هذَا القُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ ، إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ، قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاك عَلَى إِخْوَتِك فَيَكِيدُوا لَك كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ، وَكَذلِك يَجْتَبِيك رَبُّك وَيُعَلِّمُك مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْك وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْك مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّك عَلِيمٌ حَكِيمٌ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ)يوسف/٢- ٧ .

وقال الله تعالى : (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلى قَوْمِهِ فَلَبْثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةَ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانَ وَهُمْ ظَالِمُونَ ، فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ)العنكبوت/١٤- ١٥ .

وقال الله تعالى : (فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) الأعراف/١٧٦ .

وقال الله تعالى : (يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي)الأنعام/١٣٠ .

وقال الله تعالى : (هَلْ أَتَاك حَدِيثُ مُوسَى ، إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ المُقَدَّسِ طُوًى ، اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ، فَقُلْ هَلْ لَّك إِلى أَن تَزَكَّى ،

وَأَهْدِيَك إلى رَبِّك فَتَخْشَى ، فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى فَكَذَّبَ وَعَصَى ، ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى ، فَقَالَ أَنَّا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ، فَأَخَذَهُ اللّه نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى ، إِنَّ فِي ذَلِك لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى)النازعات/١٥- ٢٦ .

وقال اللّه تعالى : (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ، حتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ القَوْمِ الْمجْرِمِينَ ، لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ) يوسف/١٠٩- ١١١ .

وقال اللّه تعالى : (وَاللّه أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذلِك لآيَةً لِقَوْم يَسْمَعُونَ ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْث وَدَم لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ، وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذلِك لآيَةً لِقَوْم يَعْقِلُونَ ، وَأَوْحَى رَبُّك إلى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ، ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّك ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذلِك لآيَةً لِّقَوْم يَتَفَكَّرُونَ ، وَاللّه خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مِّن يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَىْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْم شَيْئًا إِنَّ اللّه عَلِيمٌ قَدِيرٌ ، وَاللّه فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْض فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللّه يَجْحَدُونَ ، وَاللّه جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللّه هُمْ يَكْفُرُونَ ، وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ

اللّه مَا لاَ يَمْلِك لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاواتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ ، فَلاَ تَضْرِبُوا للّه الأَمْثَالَ إِنَّ اللّه يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ، ضَرَبَ اللّه مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَىْ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الحَمْدُ للّه بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) النحل/٦٥-٧٥ .

والعبرة : هي نتيجة الإعتبار الذي هو الإستدلال على الشى بالشى ، أو معرفة ما ليس مشاهد من خلال ما هو مشاهد ، وأصل العبرة من (عَبرَ النهر) أي تجاوزه من جانب إلى آخر سباحة أو بسفينة أو قنطرة .

والآية : إصطلاحاً هي ما تتألَّف منه السور من وحدات كلامية قد تطول وقد تقصر وهي تقابل البيت الذي تتألف منه القصيدة العربية .

أمَّا في اللغة فالآية تعني : العلامة وهي التي يفضى منها إلى غيرها كأعلام الطريق المنصوبة للهداية .

إنَّ (الواقعة الكونية) كالمطر مثلاً ، آية من آيات اللّه لأنهَّا علامة تهدي إلى اللّه من يفكر بها تفكيراً صحيحاً ، وحين يهتدي الإنسان بالآية يكون قدعبر بها إلى اللّه تعالى ، أي عرف ربوبية اللّه تعالى بواسطتها وهذا هو معنى أخذ العبرة منها ، وتتسع الوقائع الكونية بحكم تنوّعها وترابطها لكل عقيدة التوحيد بإعتبار إنَّ هذه الوقائع آيات للّه تعالى وعلامات على وجود اللّه تعالى وأسمائه الحسنى وصفاته العليا .

وكذلك الأمر في (الواقعة التاريخية النبوية) كواقعة نزول القرآن على محمد صلى اللّه عليه وآله أو مجيء موسى بالآيات المفصلات

إلى فرعون ، أو واقعة الغدير ، أو واقعة بدر ، أو خروج موسى بقومه ولحاق فرعون وجنوده لهم وإنفراق البحر لموسى وقومه وغرق فرعون وقومه ، أو بيعة الرضوان في واقعة الحديبية ، وغيرها من وقائع النبوة ، هي أيضاً آيات لله تعالى تهدي إلى الله وإلى أصفيائه وتعرِّف بالمهتدين والضالين من عباده وبسنَّته مع المكذِّبين ، ومعرفة ذلك كله والإستفادة منه هو المراد بأخذ العبرة منها .

الآية التاريخية أعظم عبرة :

إنَّ الموقف القرآني من الظواهر الكونية وقصص الأنبياء الآنف الذكر ناشى من كونها حقلاً يعكس قدرة الله وعلمه وإرادته وحكمته وكونها فعلاً إلهياً مباشراً مع ملاحظة جديرة بالذكر ، وهي : أنَّ الظاهرة الكونية لا تتقوّم بإرادة وإختيار وقدرة خارج إرادة الله تعالى وإختياره وقدرته وإنَّ الواقعة التاريخية النبوية تتقوّم بإرادة وإختيار وقدرة وعلم الإنسان لأنَّها من ناحية فعل يجري على يد الإنسان بل هي في ظاهرها فعل بشري يدّعي صاحبه المؤمن أنَّ يد الله وقدرته وإرادته وراءه .

وفي ضوء ذلك فإنَّ من الطبيعي أن تكون قصص الأنبياء ، أعظم عظةً وعبرةً من الظاهرة الكونية بحكم تعقيد الظاهرة الإنسانية في قبال الظاهرة الكونية ، ولنأخذ مثالاً يوضح الفكرة مما قصَّه الله تعالى علينا من قصة موسى وفرعون .

قال الله تعالى : **(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ،**

وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوارِثِينَ ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ، وَأَوْحَيْنَا إلى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ ، فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ، وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَك لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنْفَعَنَا أو نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ، وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلاَ أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ ، وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُب وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ، وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ المَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْت يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ، فَرَدَدْنَاهُ إلى أُمِّهِ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللّه حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)القصص/٤-١٣ .

إنَّ هذا المقطع من القرآن يتحدَّث عن واقعة تاريخية من وقائع نبي الله موسى ترتبط بولادته وظروفها ، **والعبرة فيه ذات بعدين** :

البعد الأول : الدلالة على الله تعالى بصفته مؤثراً مباشراً في الواقعة ، مع المحافظة على أطراف الواقعة بوصفهم عناصر تمتلك حرية وإرادة الاختيار .

البعد الثاني : الدلالة على موسى عليه السلام ، وأنَّه مصطفى من الله تعالى وأنَّه كان برعاية الله منذ ولادته .

وهذا جار في كل قصص الأنبياء .

الوقائع السلوكية لسيرة النبي صلى الله عليه وآله بمجموعها آية :

ومن هذا المنطلق يكون جانب القدوة من حياة الرسول وسيرته بمجموعه أعظم آيات الله عظمة وعبرة ، ذلك لأنَّ وصول إنسان إلى موقع القدوة والأسوة في مجتمع من المجتمعات أو جماعة من الجماعات ليس غريباً وخارجاً عن سنّة الله في الإنسان والمجتمع ، بل الغريب والملفت للنظر والخارق للقانون هو أن تكون هذه القدوة على نسق واحد وحالة واحدة في كل مجالاتها ، فلا يشذُّ سلوك منها عن صفة القدوة مهما كان صغيراً وفي كل حقل من حقول الحياة الانسانية .

فما لم يكن له تعالى وجود حقيقي فاعل وما لم يكن هناك إنفتاح واقعي تعليمي وتربوي بين الله تعالى وعبده المرسل ورعاية خاصة له (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) طه/٣٩ يستحيل أن يصل إنسان إلى هذا الموقع . وفي ضوء مامرَّ نستنتج أنَّ سيرة الأنبياء هي أعظم رافد يمدُّ السائر إلى الله تعالى بالعظة والعبرة ولا يضاهيها رافد آخر بذلك .

الزاوية التربوية

إنَّ دراستنا لسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسيرة أهل بيته عليهم السلام من هذه الزاوية تهدف لمعرفة ما تنطوي عليه السيرة النبوية بقسميها من قدرة على التأثير في الإنسان المؤمن وتحريكه إلى الله تعالى وإنضباطه بمنهجه .

ومما لا شك فيه ، أنَّ التربية عن طريق عرض الواقعة التاريخية والقدوة هو أفضل أُسلوب في التربية وتجمع عليه المذاهب والفرق على

إختلافها قديماً وحديثاً ، وهو الأُسلوب الذي إتبعه خالق الإنسان مع الإنسان نفسه ، وهو واضح من خلال الكتب السماوية المعروفةوقد تميَّز القرآن الكريم بهذا الصدد بما لا يضاهيه كتاب آخر ، حين ضمَّ بين دفتيه أنواع القصص .

أهداف السيرة النبوية في القرآن

عني القرآن الكريم بقصص أنبياء الله تعالى أساساً لأجل الهدف العقائدي والتربوي دون الهدف التشريعي ، أمَّا عنايته بوقائع سيرة خاتم الأنبياء فقد أستهدفت الأهداف الثلاثة مع ملاحظة أنَّ الثقل الأكبر في الجانب التشريعي تركه القرآن الكريم لسنّة النبي التي دعا للأخذ بها كما في قوله تعالى : **(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللّه إِنَّ اللّه شَدِيدُ العِقَابِ)** الحشر/٧

عجز الإنسان أمام ظاهرة النبوة

ليس من شك أنَّ الإنسان عاجزٌ عن خلق الظاهرة الكونية بغير أسبابها ، فالمطر مثلاً يتكوَّن من بخار الماء المتكاثف الذي يشكِّل الغيم وبإنخفاض درجة الحرارة يتحوَّل الغيم إلى قطرات المطر . فلو أراد الإنسان تحويل بخار الماء إلى قطرات الماء مرَّة ثانية بغير تعريض بخار الماء إلى درجة حرارة منخفضة لما أمكنه ذلك .

وهكذا يعجز الإنسان عن تحريف الظاهرة الكونية عن سيرها الطبيعي كما لو أراد أن يغيِّر من تعاقب الليل والنهار أو أراد أن يغيِّر من حركة الشمس والقمر .

نعم ، بإمكانه أن يشوِّه بعض الظواهر الكونية أو يحسِّن

صفات البعض الآخر من خلال التحكُّم بأسبابها ، فبإمكانه أن يتسبب في أن يكون الجيل الثالث أو الرابع من جرثومة ما غير قادر على إنتاج الحالة المرضية التي ينتجها الجيل الأول مثلاً وذلك من خلال التحكم بالأسباب الطبيعية التي تحيط بتلك الجرثومة .

وكذلك يستحيل أن تكون ظاهرة نبوية بغير أسبابها ، وأسبابها ليست بيد الإنسانومن ثمَّ يدَّعي انسان ما النبوة كذباً ولكنَّه سرعان ما ينكشف زيفه ويفتضح كذبه .

وكذلك ليس بإمكان الإنسان أيضاً أن يحرِّف الظاهرة النبوية الصادقة ، بأن يجعل النبي المرسل وهو حي يعبد صنماً أو يغيِّر شيئاً ممَّا بيَّنه الله في كتابه ، بل كل نبى يمضي لما بعثه الله له ويحقق رسالته كما أخبره الله تعالى .

قدرة الإنسان على تحريف أخبار السيرة

نعم ، بإمكان الإنسان أن يحرِّف أخبار السيرة النبوية سواء كانت تاريخية أو سلوكية ، لأن الواقعة التاريخية أو السلوكية بعد وقوعها تكون خبراً وقصةً وحديثاً يتناقله الرواة واحداً بعد الآخر ، والإنسان بمقدوره أن يزيد وينقص من تفاصيل القصة والحديث وبإستطاعته أيضاً ان يختلق القصة بكل احداثها أو السلوكات والطريقة بكل تفاصيلها .

وهكذا حين يكون الإنسان عاجزاً عن دعوى النبوَّة دون أن يفتضح يكون من طرف آخر قادراً تماماً على تشويه وتحريف أخبار النبي المبعوث حقيقةً كقدوة أو كواقعة تاريخية بل يستطيع أن يختلق

الواقعة أساساً وبذلك تكون الواقعة المروية سلوكاً أو قصةً غير الواقعة التي جاء بها النبي ، وعلى هذا فبإمكان الرواة لو أرادوا وتعمدوا أن يرووا تاريخاً لموسى عليه السلاممثلاً لم يقع أصلاً ، وطريقة حياة أو سنَّةً له لم يسلكها في حياته ، كما بإمكانهم أن يرووا تاريخاً مشوهاً وسنَّةً محرفة ويعطوها للناس على أنَّها هي التاريخ الصحيح والسنَّة الصحيحة .

إنَّ إمكانية ذلك الأمر من الناحية النظرية امر واضح لا غبار عليه ، أمَّا من الناحية الواقعية فهل تعرضت سيرة الأنبياء السابقين للتحريف ؟ وإذا كان ذلك قد وقع فما هي حدوده ؟ ومن القائم به ؟ وماذا كان هدفه ؟ ثم ما أثر هذا التحريف على مسيرة الإنسان إلى الله تعالى ؟ هذا ما نحاول الإجابة عليه فيما يأتي

هل حرّفت سير الأنبياء السابقين ؟

يجيب القرآن على هذا السؤال بالإيجاب ويظهر ذلك واضحاً عند مقارنة أوصاف الأنبياء وقصصهم التي وردت في القرآن مع نظائرها التي وردت في العهد القديم ، **وفيما يلي نماذج ثلاثة** :

النموذج الأول :

جاء في سفر الخروج الإصحاح٣٢ الفقرة ٢١ـ٢٥

قال موسى لهارون : ماذا صنع بك هذا الشعب حتَّى جلبت عليه خطيئة عظيمة ؟ فقال هارون : لايحم غضب سيدي ، انت تعرف الشعب انه في شر **فقالوا لي** : اصنع لنا آلهة تسير امامنا لأن هذا موسى الرجل الذي اصعدنا من أرض مصر لانعلم ماذا أصابه ، فقلت لهم : من له ذهب

فلينزعه ويعطني فطرحته في النار فخرج هذا العجل" .

ومن الواضح إن هذا النص يجعل صانع العجل هو نبي الله هارون والقصة في القرآن الكريم بخلاف ذلك تماما إذ يجعل صانع العجل شخصا آخر هو السامري ويضيف إلى ذلك نصيحة هارون لقومه أن يتركوا عبادة العجل وكادوا يقتلوه لأجل ذلك .

قال تعالى : (وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى ، قَالَ هُمْ أُولاَءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ، قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ، فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ، قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ، فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هذَا إِلَهُكُمْ وَإِلهُ مُوسَى فَنَسِيَ ، أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا ، وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونَ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى) طه/٨٣-٩١ .

(قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) الأعراف/١٥٠

النموذج الثاني :

وفي سفر صموئيل الثاني الإصحاح ١١ الفقرات ١-٢٦ قصة داود مع أحد قواد جيشه أوريا كما يلي :

" وأما داود فأقام في أورشليم . وكان في وقت المساء ، قام داود عن سريره وتمشّى على سطح بيت الملك ، فرأى من على السطح امرأة تستحم . وكانت المرأة جميلة المنظر جدا . فارسل داود وسأل عن المرأة ، فقال واحد : أليست هذه بتشبع بنت اليعام امرأة اوريا الحثي ؟ فارسل داود رسلا واخذها ، فدخلت إليه ، فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها . ثم رجعت إلى بيتها . وحبلت المرأة ، فارسلت واخبرت داود **وقالت** : اني حبلى .

فارسل داود إلى يوآب يقول : أرسل الى أوريا الحثي . فأرسل يوآب أوريا إلى داودفأتى أوريا إليه ، فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب .

وقال داود لأوريا : انزل إلى بيتك واغسل رجليك ، فخرج اوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من عند الملك .

ونام اوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته : فاخبروا داود قائلين : لم ينزل أوريا إلى بيته .

فقال داود لأوريا : أما جئت من السفر ، فلماذا لم تنزل إلى بيتك ؟

فقال أوريا لداود : التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وأنا آتي إلى بيتي

لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتيوحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر .

فقال داود لأوريا : أقم هنا اليوم أيضاً وغدا أطلقك .

فاقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده . ودعاه داود امامه وشرب واسكره . وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده . وإلى بيته لم ينزل .

وفي الصباح كتب داود مكتوبا إلى يوآب وارسله بيد أوريا . وكتب في المكتوب يقول : اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديد وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت . وكان في حاصرة يوآب المدينة انه جعل اوريا في الموضع الذي علم ان رجال البأس فيه . فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات اوريا الحثي أيضاً ..

فلما سمعت امرأة أوريا انه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها . ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له إمرأة وولدت له ابنا .

واما الامر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب" .

اقول :

إن هذا النص التوراتي ينسب إلى نبي الله داود ما يندى له الجبين ويستحق عليه فاعله الرجم وقد نزه القرآن أنبياء الله عن فعل الصغائر فضلا عن فعل الكبائر ، قال تعالى : **(اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ)** ص/ ١٧ **والأواب** : صيغة مبالغة من الأوب وهو الإستقامة ، فالقرآن يصف نبي الله داود بأنه شديد الإستقامة على

خط الله .

ان اصل القصة كما تروى عن الإمام الرضا عليه السلام هو : "ان المرأة في ايام داود عليه السلام كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوج بعده ابداً وأول من اباح الله له ان يتزوج بامرأة قتل بعلها كان داود عليه السلام فتزوج بامرأة أوريا لما قتل وانقضت عدتها منه " .

النموذج الثالث :

وفي سفر التكوين الاصحاح التاسع عشر الفقرة ٣٠ـ٣٧ :

وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه ، لانه خاف ان يسكن في صوغر ، فسكن في المغارة هو وابنتاه- وقالت البكر للصغيرة : ابونا قد شاخ وليس في الارض رجل ليدخل علينا كعادة كل أرض ، هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيي من ابينا نسلاً ، فسقتا اباهما خمراً في تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع ابيها ولم يعلم باضطجاعها ولابقيامها ، ... (وفي الليلة الاخرى) قامت الصغيرة واضطجعت معه ... فحبلت ابنتا لوط من ابيها " .

هذا غيض من فيض مما يوجد في التوراة واسفار العهد القديم من روايات محرفة لسيرة الأنبياء الله سواء في الواقعة التاريخية أو الواقعة السلوكية .

الهدف من تحريف سير الأنبياء ؟

ليس كل من يستجيب للنبي ويتبعه يكون صادقاً في ذلك . وقد يبدأ الإنسان المستجيب للنبي أحياناً بداية صادقة ، ولكنَّها ليست راسخةً ، فإذا ما توفَّرت عوامل الإغراء زال الصدق ، وهذا النوع من

المستجيبين للرسول يسميهم القرآن بالمنافقين ، كعنوان عام تندرج تحته مستويات مختلفة من النفاق ومرض القلب .

ويشترك رؤوس الكفر مع رؤوس النفاق في طبيعة الموقف من آيات الله وهو موقف الإعراض الواقعي والتكذيب الداخلي ، غير أنَّ الكافر يعلن ذلك ويتصدَّى لمواجهة الرسول من موقع الكفر صراحةً ، أمَّا رؤوس النفاق وأذنابهم فيكتمون ذلك ومن هنا يتحركون لمواجهة الرسالة باسمها ومن داخلها وحين يتسلَّم هؤلاء مقادير الأُمور بعد النبي تبدأ حركة الرواية الكاذبة عن تاريخ الرسول وطريقته في الحياة من أجل أن تتحوَّل إلى سند يدعم موقعهم في الحكم وخلافة الرسول في قبال خليفة النبي صلى الله عليه وآله واقعاً .

ويتضح من ذلك ، أنَّ الذي يقوم بتحريف السيرة النبوية هم المنافقون والذين في قلوبهم مرض من أتباع النبي ، حين ينجحون في الوصول إلى السلطة ويحكمون الأمة باسم النبي والرسالة ، وهنا يحتاجون إلى تحريف السيرة النبوية ليتيسَّر لهم الإستمرار في الحكم وتحقيق أهوائهم وطموحاتهم ، فيستجيب لهم من كانت الدنيا أكبر همِّه من الرواة ، فيضعون لهم من الأخبار أو يكتمون منها أو يحرِّفون ما ترغبه السلطة من أمور ، لتقوية موقفها أو لتوهين خصومها من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من المؤمنين الصادقين .

قال الله تعالى : **(وَإِذْ أَخَذَ اللّه مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ)** آل عمران/١٨٧ .

وقال الله تعالى : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّه) التوبة/٣١ .

إنَّ هؤلاء الرهبان غيَّروا طريقة النبي ، وبدَّلوا سنَّته وأحلُّوا لهم حرام الله وحرَّموا لهم حلال الله ، فأصبحوا بذلك أرباباً ، وإتَّبعهم الناس ، وقبلوا منهم ذلك ، فتلك عبادتهم إياهم .

وفي التوراة بقايا نصوص تؤيد ذلك :

منها : ماجاء في سفر حزقيال الإصحاح الثاني والعشرين قوله : " ... كهنتها خالفوا شريعتي ونجَّسوا مقادسي " .

ومنها : ما جاء في سفر إرميا الإصحاح الثامن : " كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا حقّاً ، أنَّه إلى الكذب حوَّلها قلم الكتبة الكاذب ... أمَّا وحي الرب فلا تذكروه بعد لأنَّ كلمة كلِّ إنسان تكون وحيه إذ قد حرَّفتم كلام الإله الحي ربِّ الجنود " .

ما هو أثر التحريف على سَيْرِ الإنسان إلى اللّه تعالى ؟

تتغيَّر العظة والعبرة عن وجهتها الصحيحة حين تُحرَّف الواقعة التاريخية من حياة النبي ، فالتوراة حين نسبت صنع العجل إلى هارون ، تكون قد سحبت الإنطباع السّيء عن السامري وأتباعه وحوَّلته إلى هارون وزير موسى وشريكه في الرسالة .

وهكذا حين تُحرَّف واقعة سلوكية من سيرته بأن يُنسَب للنبي شرب الخمر مثلا ، تكون الطريقة النبوية قد تغيَّرت تماماً لصالح المنحرفين الذين لا يجدون بُدّاً من شرب الخمر ، ولكنَّهم يريدون أن يشربوها بغطاء مشروع من سيرة النبي نفسه .

إنَّ تحريف سيرة النبي بقسميها التاريخي والسلوكي أخطر من قتل النبي وإيذائه حينما يكون على قيد الحياة ، ذلك لأن قتل النبي بعد إكماله التبليغ لا يؤدي الى بطلان حجَّته بخلاف رواية الأخبار الكاذبة عن سيرته فإنَّها تؤدِّي إلى بطلانها ، وذلك في حالة إختلاط الروايات الكاذبة بالروايات الصحيحة وتعذُّر فرز الصحيح من الكذب .

إنَّ تحريف سيرة النبي التاريخية يؤدي إلى النظر إلى أعداء الرسالة على أنَّهم أهلها وحملتها ، وعلى أنَّهم الإمتداد الطبيعي للرسول وينظر إلى طريقتهم في الحياة على أنَّها إمتداد لطريقة الرسول ، فيخضعون لهم كخضوعهم للرسول ويتَّخذون منهم قدوةً كما اتَّخذوا من الرسول قدوةً ، كما يؤدِّي أيضا إلى صرف النظر عن أولياء الله الحقيقيين وحملة الرسالة حقاً وإلى الجرأة عليهم وقتلهم حين يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

إنَّ الإنسان في ظلِّ الرواية الصحيحة لحياة النبي يجد نفسه أمام أعظم آيات الله عظةً وعبرةً ، أمام طريقة حياة تفيض بالنبل والكرامة والعدل والتوحيد في كلِّ مجالاتها وحقولها أمَّا في ظل الرواية الموضوعة المحرَّفة فيجد نفسه أمام إنسان مثله لا يختلف عنه في هفواته ، بل قد يجد في سيرة النبي ما يترفَّع عنه شخصياً ، أو يجد في أصحاب ذلك النبي من هو أرجح منه موقفاً وسلوكاً ، ومن الطبيعي جداً أن لا تحرِّكه هذه السيرة المحرَّفة ، إذ لا فرق بينه وبين صاحبها إلاَّ في ناحية نزول كتاب الله عليه ، غير أنَّه لم يؤثِّر فيه الأثر البالغ ، بخلاف السيرة الصحيحة حيث تعمل دائماً على تحريكه نحو الله تعالى وبأعلى

الدرجات .

تحريف أخبار سيرة النبي صلى الله عليه وآله

تعرَّض تاريخ خاتم الأنبياء وسنَّته من بعده للتحريف وهي حقيقةٌ لا يشك فيها أحد ذلك لأنَّنا لو رجعنا إلى المصادر المعتبرة لدى المسلمين حول تاريخ النبي صلى الله عليه وآله وسنَّته لوجدنا الروايات مختلفة ومتناقضة في وصف كثير من الوقائع التاريخية أو السلوكية للرسول صلى الله عليه وآلهوهذا التناقض والاختلاف واسع وكبير إلى درجة أنَّنا نستطيع أن نكوِّن من مجموع هذه الأخبار صورتين متناقضتين للنبي صلى الله عليه وآله سواء في جانب تاريخه أو في جانب طريقته في الحياة وسنَّته .

الصورة الأولى :

تظهره صلى الله عليه وآله شخصاً أقلُّ من مستوى الإنسان الإعتيادي في مختلف مجالات الحياة ، فهو يلعن الآخرين من غير إستحقاق ، ولا يصبر عن النساء ، الأمر الذي يفرض عليه أن يصطحب معه في كل غزوة واحدة من نسائه ، ويوجد في صحابته من هو أشدُّ حياءاً منهويبول واقفاً ، إلى غير ذلك من السلوكات المشينة ، مضافاً إلى ذلك تجعل منه شخصاً متردداً في تلقِّي الوحي ، يشك في نفسه أنه قد جُنَّ أو أنَّ الشياطين قد عبثت به ، وتجعل من زوجته ذات رأي أرجح منه في هذه القضية الخطيرة ، فهي التي تطمئنه وتثبِّته على النبوَّة وتأخذه إلى ورقة بن نوفل النصراني ليزيد من قناعته بذلك ، ثم يكون أوَّل المؤمنين به أبو بكر ويسميه الصدِّيق لشدة تصديقه له ويؤمن بواسطة

أبي بكر الصحابة المعروفون ويبقى النبي صلى الله عليه وآله ثلاث سنوات يدعو سرَّاً ، ويجتمع مع أصحابه في دار الأرقم حتَّى يسلم عمر بن الخطاب فينصر الله به الإسلام ويعلن المسلمون عن أنفسهم ، وهكذا تترى الحوادث ويبرز أبو بكر وعمر وعثمان بصفتهم الوجوه البارزة في حركة النبوَّة ومن هنا يكون من الطبيعي أن يأخذ هؤلاء موقعهم في خلافة النبي ونشر دينه من بعده .

الصورة الثانية :

تظهره مثلاً أعلى في كل ميادين الحياة في الخُلُق والحياء وحسن التعليم والمعاملة وعدم الإنتقام لنفسه وغير ذلك من السلوكات العالية ، مضافاً إلى ذلك تجعل منه شخصاً واثقاً في أنَّ الذي خاطبه أوّل مرَّة في حراء هو ملك مرسل من الله تعالى ، وأنَّ عليّاً كان وزيره على أمر الرسالة بأمر الله ثم بدأ دعوته سرَّاً بأهل بيته ثلاث سنوات ثم ختم ذلك بحادثه يوم الدار حيث أعلن فيها عن علي عليه السلام وصيَّاً وخليفةً من بعده ثم صدع بأمر الله تعالى وتحمَّلت أُسرة النبي صلى الله عليه وآله (بنو هاشم) الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وعن المسلمين وحين هاجر وحين أذِن الله للمؤمنين أن يقاتلوا كان النبي يقذف بأهل بيته في لهوات الحروب ليدافعوا عن المسلمين ويتشخَّص في مجمل تاريخ النبي صلى الله عليه وآله وسيرته أهل بيته عليهم السلام بدءاً بعلىّ إمتداداً رسالياً له صلى الله عليه وآله .

وفيما يلي جدول تفصيلي مقارن لهاتين الصورتين :

نماذج من الوقائع التاريخية

العهد المكي :

١ . روى الطبري : " أنَّ النبي صلى الله عليه وآله حين أقرأه جبرئيل الآيات الأولى من سورة العلق رجع إلى بيته وقال لخديجة : إنَّ الأبعد (ويعني نفسه) لشاعر أو مجنون ! لا تحدِّث بها عني قريش أبداً ، لأعمدنَّ إلى حالق من الجبل فلأطرحنَّ نفسي منه فلأقتلنَّها لأستريحنَّ .

فخرج يريد ذلك ، حتَّى إذا كان في وسط الجبل سمع صوتاً من السماء يقول له : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبرئيل .

ثم رجع إلى خديجة وأخبرها بالذي رأى ، فقالت له : ابشر يا بن العم واثبت ، ثم طلبت منه أن يخبرها حين يأتيه الملك ففعل ، فأمرته أن يجلس إلى شقِّها الأيمن ففعل ، فلم يذهب الملك ، فأجلسته في حجرها فلم يذهب ، فتحسَّرت ، فشالت خمارها ورسول الله في حجرها فذهب الملك ، فقالت : ما هذا بشيطان إنَّ هذا الملك يا بن العم فابشر واثبت " .

وفي قبال ذلك :

ما رواه علي عليه السلام الذي كان مع النبي عند نزول الوحي وتعطينا صورة أُخرى ، قال علي عليه السلام : " ولقد كان رسول الله يجاور في كل سنة بحراء ، فأراه ولا يراه غيري . ولقد سمعت رنَّة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت : يا رسول الله ماهذه الرنَّة ؟ فقال : هذا الشيطان قد أيس من عبادته إنَّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلاَّ أنَّك لست بنبي ولكنَّك وزير ، وإنَّك على خير " .

٢ . **رووا** : أنّ أوّل من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر ، وأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله لقَّبه بالصدِّيق ، وإنَّه أسلم على يده كبار الصحابة أمثال طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن عفان والأرقم بن أبي الأرقم وغيرهم وأنَّ ذلك كان سرَّاً في السنوات الثلاث الأولى وكانوا يجتمعون خفيةً في دار الأرقم حتَّى أسلم عمر فأعلنوا عن أمرهم .

وفي قبال ذلك :

ما جاء عن الحسن بن علي عليه السلام أنه قال : " فلمَّا بعث الله محمداً للنبوَّة وإختاره للرسالة وأنزل عليه كتابه ثم أمره بالدعاء إلى الله فكان أبي أوّل من إستجاب لله وللرسول وأوّل من آمن وصدَّق الله ورسوله ، وقد قال الله في كتابه المنزل على نبيِّه المرسل **(أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ)** فجدي الذي كان على بيِّنة من ربِّه وأبي الذي يتلوه وهو شاهدٌ منه " .

وإنَ عليًا كان يقول : " أنا الصدِّيق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر ".

وفي رواية محمد بن سعد بن أبي وقاص قال : إنَّ أبا بكر أسلم بعد إسلام خمسين رجلاً .

وفي رواية : إنَّ النبي في السنوات الثلاث الأولى لم يدعُ أحداً من غير بني هاشم وإنَّ هذا الدور خُتِم بإنذار عشيرته الأقربين والإعلان عن موقع علي عليه السلاممن الرسول وأنَّه وصيه ووزيره .

وقال علي عليه السلام في كتابه إلى معاوية : " أنَّ محمداً لمَّا

دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد كنَّا أهل البيت أوَّل من آمن به وصدَّق بما جاء به فلبثنا أحوالاً مجرَّمة (أي كاملة) وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا " وإنَّهم كانوا في شعب أبي طالب لمَّا قاطعتهم قريش أربع سنوات ، وأنَّ عمر أسلم قبل الهجرة بقليل .

. رووا : أنَّ النبي صلى الله عليه وآله بعد أن هاجر المسلمون إلى الحبشة جلس مع المشركين ، فأنزل الله تعالى عليه سورة النجم ، فقرأها حتَّى إذا بلغ قوله تعالى : **(أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىَ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى)** وسوس إليه الشيطان الكلمتين فتكلَّم بهما ظانَّاً أنَّهما من جملة الوحي وهما (تلك الغرانيق العلى وأنَّ شفاعتهُنَّ ترتجى) ثمَّ مضى في السورة حتَّى إذا بلغ السجدة فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون وفرح المشركون .

ويقال : أنَّهم حملوا الرسول وطاروا به في مكة من أسفلها إلى أعلاها . ولمَّا أمسى ، جاءه جبرئيل ، فعرض عليه السورة وذكر الكلمتين فيها ، فأنكرهما جبرئيل ، فقال صلى الله عليه وآله : قلتُ على الله ما لم يقل ؟ فأوحى الله إليه **(وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَك عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوك خَلِيلًاوَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاك لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ، إِذًا لأَذَقْنَاك ضِعْفَ الحَيَاةِ وَضِعْفَ المَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَك عَلَيْنَا نَصِيرًا)** الإسراء/٧٣- ٧٥ .

وأنَّه بهذه المناسبة نزل قوله تعالى : **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِك مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِىّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللّه مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللّه آيَاتِهِ وَاللّه عَلِيمٌ حَكِيمٌ ، لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ)** الحج/٥٢- ٥٣ .

وليس من شك أنَّ هذه الرواية باطلة .

وإنَّ آباء النبي صلى الله عليه وآله كعبد المطلب وعبد مناف لم يُعْهَد منهم عبادة الأصنام كما روي ذلك عن علي عليه السلام ولا من رسول الله صلى الله عليه وآله قبل البعثة فكيف يُتَوقَّع صدور مدح لها منه صلى الله عليه وآلهبعد البعثة ؟ !

وقد روى ابن الكلبي في كتابه الأصنام إنَّ هذه الكلمات كانت تقولها قريش حين تطوف حول البيت تمدح بها أصنامها .

٤ . رووا أنَّ النبي صلى الله عليه وآله كان يتكلم مع بعض زعماء قريش فجاءه عبد الله بن أُمّ مكتوم وكان أعمى فجعل يستقرى النبي صلى الله عليه وآله آية من القرآن فأعرض عنه رسول الله وعبس في وجهه وتولَّى وكره كلامه وأقبل على أُولئك الذين كان النبي صلى الله عليه وآله قد طمع في إسلامهم فأنزل الله تعالى (**عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى ، وَمَا يُدْرِيك لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ، أو يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ، أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ، فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى ، وَمَا عَلَيْك أَلاَّ يَزَّكَّى ، وَأَمَّا مَن جَاءَك يَسْعَى ، وَهُوَ يَخْشَى ، فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى**)عبس/١- ١٠ .

وفي قبال ذلك :

ما جاء عن الصادق عليه السلام إنَّ الآيات نزلت في رجل من بني أُميَّة كان عند النبي فجاءه ابن أُم مكتوم فلمَّا جاءه تقذَّر منه وعبس في وجهه وجمع نفسه وأعرض بوجهه عنه ، فحكى الله سبحانه ذلك عنه وأنكره عليه وإنَّ هذا الشخص هو عثمان بن عفان .

العهد المدني :

٥ . من الثابت : إنَّ النبي صلى الله عليه وآله كنَّى عليَّاً بأبي تراب . وقالوا في سبب ذلك إنَّ عليَّاً غاضب فاطمة ، وخرج إلى المسجد ونام على التراب ، فعرف النبي صلى الله عليه وآله فبحث عنه فوجده ، فقال له : قم أبا تراب ، وذكر بعضهم سبباً آخر وهو إنَّ النبي صلى الله عليه وآله لم يؤاخ بين علي وبين أحد فاشتدَّ عليه ذلك وخرج إلى المسجد ونام على التراب فلحقه صلى الله عليه وآله ، فلمَّا وجده قال له : قم يا أبا تراب .

وفي قبال ذلك :

ما رواه عمَّار بن ياسر من أنَّ النبي صلى الله عليه وآله كنَّى عليَّاً بهذه الكنية في غزوة العشيرة ، وكانت أحبَّ كناه إليه ، وملخَّص القضية : إنَّهم كانوا مع الرسول صلى الله عليه وآله في غزوة ولم يكن فيها قتال ، فذهب عمَّار وعلي لينظرا إلى عمل بعض بني مدلج كانوا يعملون في عين لهم ونخل ، فغشيهما النوم ، فإنطلقا حتَّى إضطجعا على صور من النخل ، وفي دقعاء من التراب قال عمَّار : فوالله ما أهبَّنا إلاَّ رسول الله صلى الله عليه وآله يحرِّكنا برجليه ، وقد تربنا من تلك الدقعاء التي نمنا عليها ، فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : ما لك يا أبا تراب لما يُرى عليه من التراب ثم قال : ألا أُحدِّثكما بأشقى الناس رجلين ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : أُحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك على هذه ووضع يده على قرنه حتَّى يَبُلَّ منها هذه وأخذ بلحيته .

٦ . قالوا : إنَّ عليَّا عليه السلام قال : لَمّا إحمرَّ البأس يوم بدر

إتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله وكان من أشدِّ الناس ، ما كان أحدٌ منَّا أقرب إلى المشركين منه وفي رواية أُخرى "كنَّا إذا إحمَّر البأس إتقينا برسول الله فلم يكن أحد منَّا أقرب إلى العدوِّ منه" قال الشريف الرضي : " معنى ذلك إنَّه إذا عَظُمَ الخوف من العدوِّ وإشتدَّ عضاض الحرب فزع المسلمون إلى قتال رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه فينزل الله تعالى النصر عليهم . قال ابن أبي الحديد وفي الكلام حذف مضاف تقديره : إذا إحمرَّ موضع البأس وهو الأرض التي عليها معركة القوم وإحمرارها لمايسيل عليها من الدم " .

وفي قبال ذلك :

ما قاله علي عليه السلام في كتابه إلى معاوية : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا إحمرَّ البأس وأحجم الناس قدَّم صلى الله عليه وآله أهل بيته فوقى بهم أصحابه حرَّ السيوف والأسنَّة ، فقُتِل عبيدة بن الحارث يوم بدر ، وقُتِل حمزة يوم أُحدوقُتِلَ جعفر يوم مؤتة ، وأراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة ولكن آجالهم عُجِّلت ومَنِيَّتُه أُخِّرت .

ويذكر المؤرِّخون أنَّ قتلى بدر من المشركين سبعون ، قَتَل عليٌّ عليه السلام نصفهم ، **وإنهم كانوا يسمُّون عليًا يوم بدر : (الموت الأحمر) وإنهم بعدها كانوا يحرِّضون على قتل علي بقولهم :**

هذا ابن فاطمة الذي أفناكُمُ ذبحاً وقتلاً قَعصةً لم يُذْبَحِ

أعطوه خَرْجاً وإتقوا تضريبَه فِعلَ الذليل وبيعةً لم تَربَحِ

أين الكهولُ وأين كلُّ دعامة في المعضِلات وأينَ زينُ الأبطَحِ

أفناهُمُ قَعصاً وضرباً يفتري بالسيف يعملُ حدُّهُ لم يَصْفَحِ

٧ . قالوا : إنَّ أبا بكر بعث رسالة إلى أمير المؤمنين عليه السلام فيها (ولقد شاورني برسول الله في الصهر فذكر فتياناً من قريش ، فقلت له : أين أنت من علي ؟ فقال : (إنِّي لأكره ميعة شبابه وحداثة سنِّه . وإنَّ النبي صلى الله عليه وآله لمَّا إستشار فاطمة عليها السلام بكت **وقالت** : كأنَّك يا أبتي إنَّما ادخرتني لفقير قريش ؟

وفي قبال ذلك :

ما رواه المؤرخون إنَّ أشراف قريش خطبوا فاطمة فردَّهم النبي صلى الله عليه وآله وخطبها علي فزوَّجه رسول الله صلى الله عليه وآله . وعاتب الخاطبون النبي صلى الله عليه وآله على منعهم وتزويج علي عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله : والله ما أنا منعتكم وزوجته بل الله منعكم وزوَّجه .

٨ . روي عن عائشة أنها قالت : (**وما مات الرسول إلا بين سحري ونحري**) .

وفي قبال ذلك :

ما روي عن ابن عباس وعلي بن الحسين عليهما السلام أنهما قالا :

"قُبض رسول الله صلى الله عليه وآلهورأسه في حجر علي عليه السلام " .

٩ . قالوا : أنكرت عائشة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى إلى علي من بعده قالت : (لقد كان رأسه في حجري فدعا بالطست فبال فيه

فلقد إنخنث في حجري وما شعرت به ، فمتى أوصى إلى علي عليه السلام .

وفي قبال ذلك :

روت كتب التاريخ والحديث أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى إلى علي عليه السلام بأمر الله تعالى في مناسبات عديدة بدءاً بواقعة الدار وإنتهاءاً بواقعة الغدير

نماذج من الوقائع السلوكية

١ . روى أصحاب الصحاح أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : اللهم إنَّما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر فأيُّما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارةً وقربةً تقرِّبه بها إليك يوم القيامة .

وفي قبال ذلك :

يوجد قول الله تعالى عن رسوله الكريم : (**وَإِنَّك لَعَلَى خُلُق عَظِيم**) القلم/٤ وقوله : (**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**)التوبة/١٢٨ .

و ما رواه أنس أنه قال : " لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله فاحشاً ولا متفحِّشاً ولا صخَّاباً في الأسواق ولا يجزي السيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح " .

وما روي عن النبي صلى الله عليه وآله قوله : " لا يكون اللعَّانون شفعاء ولا شهداء " [٣] .

وقوله صلى الله عليه وآله : "لا ينبغي للمؤمن أن يكون لعّاناً" .

٢ . **روى مسلم في صحيحه عن عائشة قالت** : كان رسول الله صلى الله عليه وآله مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه ، فإستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ، ثم إستأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ثمَّ إستأذن عثمان فجلس رسول الله وسوّى ثيابه فلمَّا خرج قالت عائشة : دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ، ثمَّ دخل عثمان فجلست وسوَّيت ثيابك ، **فقال** : ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة .

وفي قبال ذلك :

ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري قال : كان النبي صلى الله عليه وآله أشدَّ حياءاً من العذراء في خدرها .

٣ . **قالوا : إنَّ المغيرة بن شعبة قال** : رأيتني أنا ورسول الله نتماشى ، فأتى سباطة قوم خلف حائط ، فقام كما يقوم أحدكم فبال فانتبذت منه فأشار إليَّ فجئت فقمت عند عقبه حتَّى فرغ .

وفي قبال ذلك :

عن جابر قال (نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبول قائماً) . **وفي رواية** : (كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد الحاجة أبعد) .

٤ . **قالوا** : إنَّ الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت : جاء النبي صلى الله عليه وآله فدخل حين بنى عليَّ فجلس على فراشي كمجلسك منِّي فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قَتَلَ من آبائي يوم بدر إذ

قالت إحداهنّ : (وفينا نبيٌّ يعلم ما في غدٍ) فقال : (دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين) .

وعن عائشة إنَّ النبي صلى الله عليه وآله كان جالساً فسمع ضوضاء الناس والصبيان فإذا حبشية تزفن والناس حولها فقال : يا عائشة تعالي فانظري ، فوضعت خدِّي على منكبيه ، فجعلت انظر ما بين المنكبين إلى رأسه ، فجعل يقول يا عائشة ما شبعت ؟ فأقول : لا لأنظر منزلتي عنده ، فلقد رأيته يراوح بين قدميه ، فطلع عمر فتفرَّق الناس والصبيان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : رأيت شياطين الإنس والجنِّ فرُّوا من عمر .

وعن عائشة : قالت دخل رسول الله وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعاث (بالعين المهملة) ، فاضطجع على الفراش وحوَّل وجهه فدخل أبو بكر فانتهرني وقال : مزمار الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : (دعهما) .

وفي قبال ذلك :

ما رواه أنس عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال : (بعثني الله رحمة للعالمين وبعثني بمحق المعازف والمزامير) .

يختلف اثنان من الباحثين الإسلاميين في تفسير ظاهرة التعارض والإختلاف في روايات السيرة والتاريخ ، بأنَّ مرجع ذلك بشكل أساسي إلى الكذب من الرواة المعروفين بذلك أو إلى الإشتباه ممَّن لا يتعمد الكذب منهم .

ويمكننا إجمال دوافع الوضع والكذب عند رواة السيرة والتاريخ حسب أهميتها إلى ما يلي :

الدافع الأول : رغبة السلطات في الوضع ، وقد يلتقي معها غالبا الدافع الثاني أو الثالث الآتيان .

الدافع الثاني : رغبة الزنادقة في التحريف .

الدافع الثالث : رغبة بعض الرواة في نصرة معتقده أو الإنتقاص من أحد بغضاً وحسداً له .

وقد أُبتليت أخبار السيرة والتاريخ أيضاً بعامل آخر هو الكتمان في قليل أو كثير خوفاً من السلطة ، وأحياناً حسداً وبغضاً وأحياناً خوفاً من العامة وغوغاء الناس ، وأحياناً كراهةً وإستبشاعاً لكونه خلاف المعتقد أو المذهب وأحياناً خوفاً من إستفادة الخصم منها .

وفيما يلي طرف من وثائق هذه العوامل أو الدوافع :

الدافع الأول : رغبة السلطات في الوضع أو الكتمان

إنّ أبرز مثل على هذا الدافع لتحريف الإخبار هو ما جرى على عهد بني أمية وفيما يلي أربع روايات تحدّثنا عن ذلك :

١ . رواية المدائني في كتابه الأحداث :

روى ابن أبي الحديد عن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني (ت٢٢٥هـ) في كتابه (الأحداث) قال :

كتب معاوية نسخة واحدة إلى عُمَّاله بعد عام الجماعة .

(أن برئت الذمَّة ممَّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته) .

فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليَّاً عليه السلام ويبرءون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته .

وكان أشدَّ الناس بلاءً حينئذ أهلُ الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام فإستعمل عليهم زياد بن سمية وضمَّ إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف ، لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر ، وأخافهم وقَطَّع الأيدي والأرجل وسَمَّلَ العيون وصلَّبهم على جذوع النخل وطردهم وشرَّدهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم .

وكتب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق :

(ألاَّ يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة) .

وكتب إليهم :

(أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقرِّبوهم وأكرموهم واكتبوا لي بكلِّ ما يروي كلَّ رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته) . ففعلوا ذلك حتَّى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصِّلات والكِساء والحِباء والقَطائع ، ويفيضه في العرب منهم والموالي ، فكثر ذلك في كل مصر ، وتنافسوا في المنازل والدنيا ، فليس يجيءُ أحد مردود من الناس عاملاً من عمَّال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلاَّ كتب اسمه وقرَّبه وشفَّعه فلبثوا بذلك حيناً .

ثم كتب إلى عمّاله :

(إنَّ الحديث في عثمان قد كَثُر وفَشا في كل مِصر وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فأدعوا الناس إلى الرواية في

فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلاَّ وتأتوني بمناقض له في الصحابة فإنَّ هذا أحبُّ إليَّ وأقرُّ لعيني وأدحض لِحُجَّة أبي تراب وشيعته وأشدُّ عليهم من مناقب عثمان وفضله) .

فقُرئت كتبه على الناس فرُويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها .

وجَدَّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتَّى أشادوا بذكر ذلك على المنابروأُلقِيَ إلى معلّمي الكتاتيب فعلَّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتَّى رووه وتعلَّموه كما يتعلمون القرآن ، وحتى علَّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم ، فلبثوا بذلك ما شاء الله .

ثم كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان :

(انظروا من قامت عليه البيِّنة أنَّه يحبُّ عليَّاً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه) .

وشفع ذلك بنسخة أخرى :

(من إتهمتوه بموالاة هؤلاء القوم فنكِّلوا به واهدموا داره) .

فلم يكن البلاء أشدُّ ولا أكثر منه بالعراق ولا سيَّما بالكوفة ، حتَّى إنَّ الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سرَّه ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتَّى يأخذ عليه الأيمان الغليظة لَيَكْتُمَنَّ عليه .

فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر .

ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة .

وكان أعظم الناس في ذلك بليَّةً القُرّاء المُراءون ، والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقرِّبوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل .

حتى إنتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديّانين الذين لا يستحلُّون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون أنَّها حق ولو علموا أنَّها باطلة لما رووها ولا تديَّنوا بها .

قال ابن أبي الحديد : وقد روي أنَّ أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال لبعض أصحابه : يا فلان ما لقينا من ظلم قريش إيَّانا وتظاهرهم علينا وما لَقِيَ شيعتنا ومحبونا من الناس ...

وكان عُظْمُ ذلك وكُبْرهُ زمنَ معاوية بعد موت الحسن عليه السلام .

فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظِّنّة .

وكان من يُذْكَر بحبِّنا والإنقطاع إلينا سُجِنَ أو نُهِب مالُه ، أو هُدِمَت دارهُ ، ثمَّ لم يزل البلاء يشتدُّ ويزداد إلى زمان عبيد الله قاتل الحسين عليه السلام .

ثم جاء الحجَّاج فقتلهم كلَّ قتلة وأخذهم بكلَّ ظنَّة وتهمة ، حتَّى إنَّ الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحبُّ إليه من أن يقال له شيعة علي .

وحتَّى صار الرجل الذي يذكر بالخير ولعلَّه يكون ورعاً صدوقاً يحدِّث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من سلف من الولاة ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب أنَّها حقٌّ لكثرة من قد رواها ممَّن لم يُعرَف بكذب ولا بقلة ورع .

أقول : ومن الغريب أنّ ابن أبي الحديد بعد أن يورد ذلك كلّه يعقب عليه بقوله :

(واعلم أنَّ أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة . فإنَّهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم ، حملهم على وضعها عداوة خصومهم ، **نحو** :

حديث (السطل) . وحديث (الرمانة) . وحديث (غزوة البئر) التي كان فيها الشياطينوتعرف كما زعموا بـ (ذات العلم) . وحديث (غسل سلمان الفارسي وطي الأرض) . وحديث (الجمجمة) ، ونحو ذلك .

فلمَّا رأت البكرية ما صنعت الشيعة ، وضعت لصاحبها أحاديث في **مقابلة هذه الأحاديث** :

نحو (لو كنتُ متخذاً خليلاً) ، فإنَّهم وضعوه في مقابلة حديث الإخاء .

ونحو (سد الأبواب) فإنَّه كان لعلي عليه السلام فنقلته البكرية إلى أبي بكر .

ونحو (ائتوني بدواة وبياض أكتب فيه لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه اثنان) . ثم قال : (يأبى الله تعالى والمسلمون إلاَّ أبا بكر) ، فإنَّهم وضعوه في مقابلة الحديث المروي عنه في مرضه : (آئتوني بدواة وبياض أكتب لكم ما لا تضلُّون بعده أبداً) ، فاختلفوا عنده . وقال قوم منهم ، لقد غلبه الوجع ، حسبنا كتاب الله .

ونحو حديث : (أنا راض عنك فهل أنت عنِّي راض !) . ونحو ذلك ...

فلمَّا رأت الشيعة ما قد وضعت البكرية أوسعوا في وضع الأحاديث ، **فوضعوا** :

حديث (الطوق) ، الحديث الذي زعموا أنَّه جعله في عنق خالد .

وحديث (اللوح) ، الذي زعموا أنَّه كان في غدائر الحنفيَّة أُمِّ محمد .

وحديث (لا يفعلن خالد ما آمر به) .

وحديث (الصحيفة) ، الَّتي علِّقت عام الفتح بالكعبة .

وحديث (الشيط) ، الَّذي صعد المنبر يوم بويع أبو بكر ، فسبق الناس إلى بيعته .

وأحاديث مكذوبة كثيرة تقتضي نفاق قوم من أكابر الصحابة والتابعين الأوَّلين وكفرهم .

فقابلتهم البكرية بمطاعن كثيرة في علىّ عليه السلام وفي ولديه .

ونسبوه تارةً إلى ضعف العقل ، وتارةً إلى ضعف السياسة ، وتارةً إلى حبِّ الدُّنيا والحرص عليها .

ولقد كان الفريقان في غنية عمَّا اكتسباه واجترحاه .

ولقد كان في فضائل علي عليه السلام الثابتة الصحيحة ، وفضائل أبي بكر المحقَّقة المعلومة ما يغني عن تكلُّف العصبية لهما ، فإنَّ العصبية لهما أخرجت الفريقين من ذكر الفضائل إلى ذكر الرذائل ، ومن تعديد المحاسن إلى تعديد المساوي والمقابح . ونسأل الله تعالى أن يعصمنا من الميل إلى الهوى وحبِّ العصبيَّة ، وأن يجرينا على ما عوَّدنا من حبِّ الحقِّ أين وجد وحيث كان ، سخط ذلك من سخط ،

ورضى به من رضى بمنّه ولطفه [٤] .

أقول : ليس من شك أنَّ قول ابن أبي الحديد هذا مجانب للصواب ، إذ أنَّ البادى بوضع الحديث وتشجيع الناس عليه هو معاوية كما مرَّت الأخبار التي رويناها عن ابن أبي الحديد نفسه . وذلك لما انتشر عند أهل الشام في السنوات العشر من صلح الحسن عليه السلام من حديث الغدير ، وحديث الثقلين ، والمباهلة ، والدار ، والكساء ، والمنزلة ، والمؤآخاة ، وخيبر ، وأُحد ، وحديث بريدة بن الحصيب لمَّا جاء برسالة خالد بن الوليد من اليمن ، يقع فيها في علي عليه السلام ، وغيرها وأيضا ما ورد في حقّه من القرآن .

قال ابن أبي الحديد : قد روى ابن عرفة المعروف بابنِ (نفطويه) ، وهو من أكابر المحدِّثين وأعلامهم في تاريخه ، قال : إنَّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة أُفتعلت في أيّام بني أُمية ، تقرُّباً إليهم بما يظنُّون أنَّهم يرغمون به أُنوف بني هاشم .

وقال أبو جعفر الإسكافي (ت٢٢٠هـ) :

إنَّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جُعَلاً يُرغب في مثله فاختلقوا ما أرضاه ، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير [٨] .

نموذجان من حديث عروة في ذم عليّ عليه السلام :

روى الزهري أنّ عروة بن الزبير حدّثه قال : حدثتني عائشة قالت : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل

العباس وعلي فقال : يا عائشة إنَّ هذين يموتان على غير ملَّتي أو قال ديني .

وروى عبد الرزاق عن معمَّر قال : كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في علي عليه السلام فسألته عنهما يوماً ، فقال : ما تصنع بهما وبحديثهما الله أعلم بهما إنِّي لأتهمهما في بني هاشم .

قال ابن أبي الحديد : فأمَّا الحديث الأوّل فقد ذكرناه .

وأمّا الحديث الثاني فهو : أنَّ عروة زعم أنَّ عائشة حدَّثته ، قالت : كنت عند النبي صلى الله عليه وآلهإذ أقبل العباس وعلي ، فقال صلى الله عليه وآله : يا عائشة إن سَرَّكِ أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا ، فنظرتُ فإذا العباس وعلي بن أبي طالب .

نموذج من حديث عمرو بن العاص في علي عليه السلام :

وأمَّا عمرو بن العاص فروى عنه الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما مسنداً متصلاً بعمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : (إنَّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء إنَّما وليي الله وصالح المؤمنين)

نموذج من حديث أبي هريرة في ذم عليّ عليه السلام :

وأمَّا أبو هريرة فروي عنه الحديث الذي معناه أنَّ عليَّاً عليه السلام خطب ابنة أبي جهل في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأسخطه ، فخطب على المنبر وقال : لاها الله لا تجتمع إبنة ولي الله وإبنة عدو الله أبي جهل ، إنَّ فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها فإنْ كان علي يريد ابنة أبي جهل فليفارق إبنتي وليفعل ما يريد أو كلاماً هذا معناه .

قال ابن أبي الحديد : هذا الحديث مخرَّج في صحيحي مسلم والبخاري عن المسور بن مخرمة الزهري [١١] .

و لشياع هذا الخبر وإنتشاره ذكره مروان بن أبي حفصة في قصيدة يمدح بها الرشيد ويذكر فيها ولد فاطمة عليها السلام وينحى عليهم ويذمهم وقد بالغ حين ذم علياً عليه السلام ونال منه وأولها :

سلام على جَمَل وهيهات من جملِ ويا حبذا جملٌ وإنْ صُرمِتْ حبلي

ويقول فيها :

علـيٌّ أبـوكم كـان أفضـلَ مـنكم أبـاه ذوو الشورى وكانوا ذوي الفضل

وسـاء رسـولَ اللّه إذْ سـاء بنتَـه بخطبتـه بنـتَ اللعـين أبـي جهـل

فـذمَّ رسـول اللّه صـهرَ أبـيكم على منبر بالمنطق الصادع الفضل

وحكَّـمَ فيهـا حـاكمين أبـوكم هما خلعاه خلع ذي النعل للنعل

وقـد باعهـا مـن بعـده الحسـن ابنـه فقد أُبطلت دعواكمُ الرثة الحبلِ

وخلّيتموهـا وهـي في غـير أهلـها وطالبتموهـا حـين صـارت إلى أهـل

٢ . ماورواه سليم بن قيس في كتابه :

قال سليم بن قيس :

إنَّ معاوية مرَّ بحلقة من قريش ، فلمَّا رأوه قاموا إليه غير عبد اللّه بن عباس فقال له : يا ابن عباس ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلاَّ لموجدة عليَّ بقتالي إيَّاكم يوم صفين ، يا ابن عباس إنَّ ابن عمِّي عثمان قُتل مظلوماً .

قال ابن عباس : فعمر بن الخطَّاب قد قتل مظلوماً فَسَلِّم الأمر إلى ولده ، وهذا أبنه ؟ ! .

قال : أنَّ عمر قتله مشرك .

قال ابن عباس : فمن قتل عثمان ؟

قال : قتله المسلمون !

قال : فذلك أدحض لحُجَّتك ، إنْ كان المسلمون قتلوه وخذلوه فليس إلاَّ بحق .

قال : فإنَّا قد كتبنا إلى الآفاق ننهى عن ذكر مناقب علىَّ وأهل بيته ، فكُفّ لسانك يا ابن عباس واربَع على نفسك .

قال : أفتنهانا عن قراءة القرآن ؟ قال : لا .

قال : أفتنهانا عن تأويله ؟ قال : نعم .

قال : فنقرأه ولا نسأل عمَّا عنى الله به ؟ قال : نعم .

قال : فأيهما أوجب علينا قراءته أو العمل به ؟ قال : العمل به .

قال : فكيف نعمل به حتَّى نعلم ما عنى الله بما أنزل علينا ؟

قال سل عن ذلك من يتأوَّله على غير ما تتأوَّله أنت وأهل بيتك .

قال : إنَّما أنزل القرآن على أهل بيتي فأسأل عنه آل أبي سفيان وآل أبي معيط ؟ ! ...

قال : فاقرأوا القرآن ولا تروا شيئاً ممَّا أنزل الله فيكم وممَّا قال رسول الله فيكم واروا ما سوى ذلك !

قال ابن عباس : قال الله في قرآنه : **(يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللّه بِأَفْواهِهِمْ وَيَأْبَى اللّه إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ)** التوبة/٣٢ .

قال معاوية : يا ابن عباس إكفني نفسك وكُفَّ عنّي لسانك ، وإنْ كنت لابدَّ فاعلاً فليكن ذلك سرّاً ولا يسمعه أحدٌ منك علانية !

أقول :

إنَّ هذه المحاورة قد جرت في المدينة سنة (٥٥ هجـ) بعد رجوع معاوية من الحج الذي أقامه لتلك السنة ؟

وقد جرت قبل ذلك في مكة محاورة أخرى بينه وبين سعد بن أبي وقاص رواها النسائي (ت ٣٠٣هـ) **صاحب السنن قال :**

أخبرنا محمد بن المثنى قال : أخبرنا أبو بكر الحنفي قال : حدثنا بكر بن مسمار قال : سمعت عامر بن سعد يقول :

قال معاوية لسعد بن أبي وقاص : ما يمنعك أنْ تسب ابن أبي طالب ؟

قال : لا أسبُّه ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله صلى الله عليه وآله لأن يكون لي واحدة منهنَّ أحبُّ إليَّ من حمر النعم .

ما أسبُّه : ما ذكرتُ حين نزلت **(انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً)** دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً وإبنيه وفاطمة فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال : رب هؤلاء أهل بيتي وأهلي .

ولا أسبُّه : ما ذكرت حين خلَّفه في غزوة غزاها قال علي : خلفتني مع الصبيان والنساء ؟ قال : أولا ترضى أنْ تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنَّه لا نبوة بعدي .

وما أسبُّه : ما ذكرت يوم خيبر حين قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لأعطيَّن الراية رجلاً يحب الله ورسوله ، ويفتح الله بيده ، فتطاولنا ، فقال : أين علي ؟ فقالوا : هو أرمد ، قال : إدعوه ، فبصق في عينيه ثم

أعطاه الراية ، ففتح الله عليه .

فوالله ما ذكره معاوية بحرف حتَّى خرج من المدينة .

أقول : وقد كانت هذه المحاورة قبل صدور قرار معاوية إلى ولاته بسب علي على المنابر ، وكان هدفه من هذا الحوار جس نبض سعد ولمَّا عرف موقفه دس له السم كما دس السم للحسن عليه السلام .

قال أبو الفرج الاصفهاني (ت٣٥٦هـ) : حدثني أحمد بن عبيد الله قال حدثني عيسى بن مهران قال حدثنا يحيى بن أبي بكر قال حدثنا شعبة عن أبي بكر بن حفص قال : توفي الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص في أيام بعد ما مضى من إمارة معاوية عشر سنين .

وقال أبو الفرج : كانوا يرون أنَّه سقاهما سُمّاً .

٣ . ما رواه الزبير بن بكار في كتابه الموفقيات :

قال الزبير بن بكار : حدثنا أحمد بن سعيد قال : حدثني الزبير قال : حدثني عمي مصعب بن عبدالله عن الواقدي قال : حدثني ابن أبي سبرة عن عبد الرحمن بن زيد قال :

وفد علينا سليمان بن عبد الملك حاجّاً سنة اثنتين وثمانين ، وهو ولي عهد ، فمرَّ بالمدينة ، فدخل عليه الناس ، فسلَّموا عليه ، وركب إلى مشاهد النبي صلى الله عليه وآله التي صلَّى فيها وحيث أُصيب أصحابه في أحد ، ومعه أبان بن عثمان ، وعمرو بن عثمان ، وأبو بكر بن عبد الله بن أبي أحمد ، فأتوا به قُباء ، ومسجد الفضيخ ، ومشربة أم إبراهيم ، وأحد ، وكل ذلك يسألهم ، ويخبرونه عمَّا كان .

ثم أمر أبان بن عثمان أن يكتب له سِيَر النبي صلى الله عليه وآله

ومغازيه .

فقال أبان : هي عندي قد أخذتها مصححة ممن أثق به ، فأمر بنسخها ، وألقى فيها إلى عشرة من الكُتَّاب ، فكتبوها في رقّ .

فلما صارت إليه ، نظر فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبتين وذكر الأنصار في بدر ، فقال : ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل فإمَّا أن يكون أهل بيتي غمصوا عليهم وإمَّا أن يكونوا ليس هكذا .

فقال أبان بن عثمان : أيها الأمير لا يمنعنا ما صنعوا بالشهيد المظلوم من خذلانه من القول بالحق : هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا ، قال : ما حاجتي إلى أن أنسخ ذاك حتَّى أذكره لأمير المؤمنين لعله يخالفه ، فأمر بذلك الكتاب فخُرِّق ، وقال : أسأل أمير المؤمنين إذا رجعت ، فإن يوافقه فما أيسر نسخه .

فرجع سليمان بن عبد الملك فأخبر أباه بالذي كان من قول أبان .

فقال عبدالملك : وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل ، تُعرِّف أهل الشام أموراً لا نريد أن يعرفوها ! !

قال سليمان : فلذلك يا أمير المؤمنين أمرت بتخريق ما كنتُ نسخته حتَّى أستطلع رأي أمير المؤمنين ، فصوّب رأيه ، وكان عبد الملك يثقل عليه ذلك .

ثم إنَّ سليمان جلس مع قبيصة بن ذؤيب ، فأخبره خبر أبان بن عثمان وما نسخ من تلك الكتب وما خالف أمير المؤمنين فيها .

فقال قبيصة : لولا ما كرهه أمير المؤمنين لكان من الحظِّ أنْ تَعْلَمها وتُعلِّمَها ولدك وأعقابهم ، إنَّ حظَّ أمير المؤمنين فيها لوافر ، إنَّ أهل بيت

أمير المؤمنين لأكثر من شهد بدراً فشهدها من بني عبد شمس ستة عشر رجلاً من أنفسهم وحلفائهم ومواليهم وحليف القوم منهم ومولى القوم منهم . وتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وعمَّاله من بني أمية أربعة : عتاب بن أُسيد على مكة ، وأبان بن سعيد على البحرين ، وخالد بن سعيد على اليمن ، وأبو سفيان بن حرب على نجران ، عاملاً لرسول الله صلى الله عليه وآله ولكنِّي رأيت أمير المؤمنين كره من ذلك شيئاً فما كره فلا تخالفه .

ثم قال قبيصة : لقد رأيتني وأنا وهو - يعني عبد الملك- وعدةً من أبناء المهاجرين ما لنا علم غير ذلك حتَّى أحكمناه ، ثم نظرنا بعد في الحلال والحرام ، فقال سليمان : يا أبا إسحاق ألا تخبرني عن هذا البغض من أمير المؤمنين وأهل بيته لهذا الحيِّ من الأنصار وحرمانهم إيَّاهم لِمَ كان ؟ فقال : يا ابن أخي أوّل من أحدث ذلك معاوية بن أبي سفيان ، ثم أحدثه أبو عبد الملك (يريد مروان) ثم أحدثه أبوك .

فقال : علامَ ذلك ؟

قال : فوالله ما أريد به إلاَّ لأعلمه وأعرفه .

فقال : لأنَّهم قتلوا قوماً من قومهم ، وما كان من خذلانهم عثمان فحقدوه عليهم ، وحنقوه وتوارثوه ، وكنت أحب لأمير المؤمنين أن يكون على غير ذلك لهم وأن أخرج من مالي فكلِّمه .

فقال سليمان : أفعل والله . فكلَّمه وقبيصة حاضر ، فأخبره قبيصة بما كان من محاورتهم .

فقال عبد الملك : والله ما أقدر على غير ذلك فدعونا من ذكرهم

فأسكت القوم [١٧] .

وحكى الزهري [١٨] : (أن عبد الملك رأى عند بعض ولده حديث المغازي فأمر به فأحرق ، وقال : عليك بكتاب الله فاقرأه والسنة فاعرفها واعمل بها) .

قال الدكتور حسين عطوان : (ولم يزل الخلفاء الأمويون يحظرون رواية المغازي والسير إلى نهاية القرن الأول فلما استخلف عمر بن عبد العزيز ، أقرَّ بأنَّ من سبقه من الخلفاء الأمويين حاربوا رواية المغازي والسير ، ومنعوا أهل الشام من معرفتها ، ودفعوهم عن الإطلاع عليها ، وردعوهم عن الإشتغال بها وأنكر صنيعهم ، وشهَّر به تشهيراً قوياً) [١٩] .

قال ابن عساكر في ترجمة عاصم بن عمر بن قتادة : ووفد عاصم على عمر بن عبد العزيز في خلافته في دين لزمه فقضاه عنه عمر وأمر له بعد ذلك بمعونة وأمره أنْ يجلس في مسجد دمشق فيحدِّث الناس بمغازي رسول الله صلى الله عليه وآله ومناقب أصحابه وقال إنَّ بني مروان كانوا يكرهون هذا وينهون عنه فاجلس فحدِّث الناس بذلك ففعل .

اقول : ومن الجدير ذكره ، ان عمر بن عبد العزيز حين رفع الحظر عن رواية المغازي والحديث لم يكن قد رفعه بشكل كامل ، لذلك فإن من عُرِف بروايته لفضائل علي وسيرته وأُمِرَ بلزوم الإقامة الجبرية في بلده كعامر بن واثلة ، لم يرفع الحظر عنه ، وقد روى ابن عساكر في ترجمة عامر بن واثلة أبي الطفيل أنَّه أدركته إمرة عمر بن عبد العزيز

فكتب يستأذنه في القدوم عليه ، فقال عمر : ألم تؤمر بلزوم البلد ؟

ومن الثابت أنَّ أبا الطفيل كان صحابياً من شيعة علي وقد ترك البخاري حديثه لأنَّه كان (بزعمه) يفرط في التشيع .

٤ . ما رواه أبوالفرج في كتابه الأغاني :

روى أبو الفرج بسنده عن ابن شهاب قال : قال لي خالد بن عبد الله القسري : اكتب لي النسب فبدأت بنسب مضر فمضيت فيه اياماً ثم أتيته ، فقال لي ما صنعت ؟ فقلت بدأت بنسب مضر وما أتممته ، فقال : اقطعه قطعه الله مع أصولهم ، واكتب لي السيرة ، فقلت له : فإنَّه يمر بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب افأذكره ؟

فقال : لا إلاَّ أنْ تراه في قعر الجحيم .

وهذا الحديث يفسِّر لنا بوضوح لماذا جاءت روايات الزهري للسيرة التي رواها عنه عبد الرزاق الصنعاني بواسطة معمر خالية من ذكر علي عليه السلام وفيما يلي نماذج من روايات الزهري برواية عبد الرزاق الصنعاني في كتابه المصنّف :

١ . روى عبد الرزاق في المصنف عن معمر قال سألت الزهري : (عن أوّل من أسلم) ؟ قال : ما علمنا أحداً أَسلم قبل زيد بن حارثة .

٢ . وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في حديثه عن عروة قال : كانت وقعة أحد في شوال ، على رأس ستة أشهر من وقعة بني النضير .

قال الزهري عن عروة في قوله (وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون) : إنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال يوم أحد حين غزا أبو سفيان وكفّار قريش : إنِّي رأيت كأنِّي لبست درعاً حصينة ، فأوّلتها المدينة ،

فاجلسوا في ضيعتكم وقاتلوا من ورائها ، وكانت المدينة قد شبكت بالبنيان ، فهي كالحِصن ، فقال رجلٌ مسنٌ لم يشهد بدراً : يا رسول الله ، اخرج بنا إليهم فلنقاتلهم ، وقال عبد الله بن أبي سلول : نعم ، والله ، يا نبي الله ، ما رأيت إنّا والله ما نزل بنا عدو قط فخرجنا إليه ، إلاَّ أصاب فينا ، ولا يأتينا في المدينة ، وقاتلنا من ورائها إلاَّ هَزَمنا عدوُّنا .

فكلَّمه أُناس من المسلمين ، فقالوا : بلى ، يا رسول الله ، أخرج بنا إليهم ، فدعا بلأمته فلبسها ، ثم قال : ما أظنُّ الصرعى إلاَّ ستكثر منكم ومنهم ، إنِّي أرى في النوم منحورة ، فأقول بقر ، والله بخير فقال رجل : يا رسول الله ، بأبي أنت وأُمي فاجلس بنا ، فقال : إنَّه لا ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتَّى يلقى الناس ، فهل من رجل يدلنا الطريق على القوم من كثب ؟ فانطلقت به الأدلاء بين يديه ، حتَّى اذا كان بالشوط من الجبانة انخذل عبد الله بن أبي بثلث الجيش ، او قريب من ثلث الجيش ، فانطلق النبي صلى الله عليه وآله حتَّى لقوهم بأحد ، وصافوهم ، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله عهد إلى أصحابه أنَّهم هزموهم ، أنْ لا يدخلوا لهم عسكراً ، ولا يتَّبعوهم ، فلمَّا التقوا هزموا ، وعصوا النبي صلى الله عليه وآله ، وتنازعوا ، واختلفوا ، ثم صرفهم الله عنهم ليبتليهم ، كما قال اللهوأقبل المشركون ، وعلى خيلهم خالد بن الوليد بن المغيرة ، فقتل من المسلمين سبعين رجلاً وأصابهم جراح شديدة ، وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وآله ، ودمي وجهه ، حتَّى صاح الشيطان بأعلى صوته : قتل

محمد .

قال ابن إسحاق حدَّثني ابن شهاب الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك أخو بني سلمة قال : قال كعب : عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأشار إليَّ أنْ أنصت ، فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وآله نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشعب ، معه : أبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، والحارث بن الصمة ، في رهط من المسلمين ، فلما أسند رسول الله صلى الله عليه وآله في الشعب ، أدركه أبي بن خلف وهو يقول : أين يا محمد أين يا محمد لا نجوت إنْ نجوت ، فقال القوم : أيعطف عليه يا رسول الله رجل منّا ؟ فقال : دعوه فلمَّا دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وآله الحربة من الحارث بن الصمة ، يقول بعض القوم فيما ذكر لي ، فلمَّا أخذها رسول الله صلى الله عليه وآله إنتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر من ظهر البعير إذا أنتفض بها ، ثم إستقبله فطعنه بها طعنة تردّى بها عن فرسه مراراً [٢٧] .

قال عبد الرزاق قال معمر حدثني الزهري : فنادى أبو سفيان بعدما مُثِّل ببعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وجُدِعوا ، ومنهم من بُقِرَ بطنُه .

فقال أبو سفيان : إنَّكم ستجدون في قتلاكم بعض المثل ، فإنَّ ذلك لم يكن عن ذوي رأينا ولا سادتنا [٢٨] . ثم قال أبو سفيان : أعلُ

هُبَل . فقال عمر بن الخطاب : الله أعلى وأجل .

فقال : أنعمت عيناً [٢٩] ، قتلى بقتلى بدر .

فقال عمر : لا يستوي القتلى ، قتلانا في الجنة ، وقتلاكم في النار .

فقال أبو سفيان : لقد خِبنا إذا ، ثم انصرفوا راجعين .

وندب النبي صلى الله عليه وآله أصحابه في طلبهم ، حتَّى إذا بلغوا قريباً من حمراء الأسد ، وكان فيمن طلبهم يومئذ عبد الله بن مسعود ، وذلك حين قال الله (الذين قال لهم الناس إنَّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) آل عمران /١٧٣ .

٣ . قال عبد الرزاق قال معمر قال الزهري في حديثه عن المسيب : وذكر قصَّة نعيم بن مسعود الأشجعي وسعيه في الوقيعة بين أبي سفيان وبني قريضة وما أرسل الله تعالى من الريح على المشركين وإنهزامهم بغير قتال ، ثم قال : فذلك حين يقول (وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله عزيزاً) الأحزاب /٢٥ .

٤ . عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ، قال : لمَّا إنصرف رسول الله صلى الله عليه وآله حتَّى أتى المدينة ، فغزا خيبر من الحديبية فأنزل الله عليه (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه) الى (ويهديكم صراطاً مستقيماً) فلمَّا فتحت خيبر جعلها لمن غزا معه الحديبية ، وبايع تحت الشجرة ، ممَّن كان غائباً أو شاهداً ، من أجل أنَّ الله كان وعدهم إيَّاها ، وخمَّس رسول الله صلى الله عليه وآله خيبر ، ثم قسم سائرها مغانم بين من شهدها من المسلمين ، ومن غاب

عنها من أهل الحديبية .

٥ . عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : أخبرني كُثيّر بن العباس بن عبد المطلب عن أبيه العباس قال : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم حنين ، قال : فلقد رأيت النبي صلى الله عليه وآله وما معه إلاَّ أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فلزمنا رسول الله صلى الله عليه وآله فلم نفارقه ، وهو على بغلة شهباء وربما قال معمر : بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي .

قال : فلمَّا إلتقى المسلمون والكفَّار ولَّى المسلمون مدبرين ، وطفق رسول الله صلى الله عليه وآلهيركض بغلته نحو الكفار قال العباس : وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله ألقفها ، وهو لا يألو ما أسرع نحو المشركين ، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بغرز رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يا عباس ، ناد أصحاب السمرة ، قال : وكنت رجلاً صيتاً ، فناديت بأعلى صوتي : أي أصحاب السمرة ؟ قال : فو الله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها ، يقولون : يا لبيك ، يا لبيك ، يا لبيك .

وأقبل المسلمون ، فإقتتلوا هم والكفار .

فنادت الأنصار ، يقولون : يا معشر الأنصار ، ثم قصر الداعون على بني الحارث بن الخزرج ، فنادوا : يا بني الحارث بن الخزرج .

قال : فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : هذا حين حمي الوطيس .

قال ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وآله حصيات فرمى بهن وجوه الكفَّار ، ثم قال : إنهزموا وربِّ الكعبة .

قال : فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى .

قال : فو الله ما هو إلاَّ أن رماهم رسول الله صلى الله عليه وآله بحصياته ، فما زلت أرى حدَّهم كليلاًوأمرهم مدبراً حتَّى هزَّمهم الله تعالى ، قال : وكأنِّي أنظر إلى النبي صلى الله عليه وآلهيركض خلفهم على بغلة له .

الدافع الثاني : الكتمان كراهة وخوفا من العامة

أ . ما حذفه ابن هشام من سيرة ابن إسحاق :

قال ابن خلكان في ترجمة عبد الملك بن هشام الحميري : (جمع سيرة رسول الله من المغازي والسير لابن إسحاق وهذّبها ...) .

و قال السيوطي في بغية الوعاة / ٣١٥ في ترجمته أيضاً : (مهذِّب السيرة النبوية سمعها من زياد البكائي صاحب ابن إسحاق ونقّحها ...) .

وقد وضَّح ابن هشام منهجه في التهذيب في مقدمة الكتاب قائلاً : (وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب ... وأشياء يشنع الحديث به بعض يسوء الناس ذكره ...) .

وكان ممّا حذفه ابن هشام من سيرة ابن إسحاق (ممّا يسوء الناس ذكره) خبر دعوة الرسول بني عبد المطلب عندما أوحى الله إليه : **(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَك الأقْرَبِين)** فقد روى الطبري في تأريخه قال حدَّثنا ابن حميد قال حدَّثنا سلمة قال حدَّثني محمد بن اسحاق عن عبد الغفار بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله ابن الحارث بن نوفل بن الحارث

بن عبد المطلب عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله : (وأنذر عشيرتك الأقربين) دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي : يا علي إنَّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أنِّي متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمّت عليه حتَّى جاءني جبرئيل فقال : يا محمد إنَّك إلاَّ تفعل ما تؤمر به يعذِّبك ربُّك فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عُسَّاً من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتَّى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به . ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه : أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلمَّا إجتمعوا إليه دعاني بالطعام الَّذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وآلهحذية من اللحم فشقها بأسنانه ثمَّ ألقاها في نواحي الصحفة . ثم قال : خذوا بسم الله فأكل القوم حتَّى ما لهم بشى حاجة وما أرى إلا موضع أيديهم وأيم الله الذي نفس عليٍّ بيده وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدَّمت لجميعهم . ثمَّ قال : إسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتَّى رووا منه جميعاً وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلمَّا أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال : لشدَّ ما سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وآلهفقال الغد : يا علي إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرَّق القوم قبل أن أكلِّمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ، ثم أجمعهم إليَّ .

قال : ففعلت ، ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ، ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتَّى ما لهم بشى حاجة . ثم قال : أسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتَّى رووا منه جميعاً ثم تكلَّم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممَّا قد جئتكم به إنِّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة . وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيُّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم ؟ قال : فأحجم القوم عنها جميعا وقلت : وإنِّي لأحدَثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه . فأخذ برقبتي ، ثم قال : إنَّ هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا . قال : فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع

حذف ابن هشام هذا الخبر وأخباراً كثيرةً أُخرى كان يرى أنّ ذكرها يسوء الناسولهذا السبب إشتهرت سيرة ابن هشام وأصبحت أوثق سيرة عند الناس وأهملت سيرة ابن إسحاق لأنّ فيها أخبارا لا يرغبون في نشرها حتَّى فقدت نسختها .

أقول : وقد عُثِر أخيرا على قطعتين من سيرة ابن إسحاق ترتبطان ببعض حوادث الفترة المكية ومعركة بدر وأُحد حققهما أحد الباحثين [٢] ومن حسن الحظ أنَّ إحدى القطعتين إحتفظت بحديث الدار وبالسند نفسه غير أنَّ يد التحريف إمتدت إلى القسم المهم والخطير من الرواية وهو قوله صلى الله عليه وآله : أيُّكم يؤازرني الخ ... فحذفته .

قال يونس عن ابن إسحاق قال حدَّثني من سمع من عبد الله بن الحارث بن نوفل واستكتمني اسمه عن ابن عباس عن علي قال : لمَّا نزلت هذه الآية على رسول الله(وانذر عشيرتك الأقربين) ... وذكر نص الرواية إلى قوله قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة [٤] ثم حذف الباقي .

أقول : الراوي الذي سمع من عبد الله بن الحارث (ت٨٤هـ) هو المنهال بن عمرو [٥] ولعلَّه حدَّثه به على عهد هشام بن عبد الملك (ت١٢٥هـ) ثمَّ حدَّثه به عبد الغفَّار بن القاسم به (وهو من أقران ابن إسحاق) عن المنهال الذي يحتمل فيه إنَّه سمعه من المنهال ولم يستكتمه اسمه لإنتهاء الظرف الذي يخاف منه .

أمَّا يونس بن بكير فهو صاحب ابن إسحاق وقد وثقَّوه وأثنوا عليه ، [٧] ومن هنا فإنَّنا نحتمل أنَّ الحذف من صنع النُّساخ ويؤيد ذلك ما ذكره ابن أبي الحديد لمَّا روى عن أبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد اللغوي غلام ثعلب ، ومحمد بن حبيب في أماليه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمَّا فرَّ معظم أصحابه عنه يوم أُحد كثرت عليه كتائب المشركين وقصدته كتيبة من بنى كنانة ثمَّ من بنى عبد مناة بن كنانة فيها بنو سفيان بن عويف وهم خالد بن سفيان وأبو الشعثاء بن سفيان وأبو الحمراء بن سفيان وغراب بن سفيان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي أكفني هذه الكتيبة ، فحمل عليها وإنَّها لتقارب خمسين فارساً وهو عليه السلام راجل ، فما زال يضربها بالسيف حتَّى تتفرق عنه ثم تجتمع عليه هكذا مراراً حتَّى قتل بنى سفيان بن عويف الأربعة وتمام العشرة منها ممَّن لا يعرف باسمائهم ، فقال جبرئيل لرسول

الله صلى الله عليه وآله : يا محمد إنَّ هذه المواساة لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : وما يمنعه وهو منِّي وأنا منه ، فقال جبرائيل عليه السلام : وأنا منكما ، قال : وسمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء لا يرى شخص الصارخ به ينادي مراراً :

لا سيف إلاَّ ذو الفقار ولا فتى إلاَّ علي

فسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عنه ، فقال : هذا جبرائيل .

قال ابن أبي الحديد : وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين وهو من الأخبار المشهورة ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمد بن إسحاق ورأيت بعضها خالياً عنه .

ب . ما حذفه القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) :

ومثل هذا الحذف أو الكتمان وعدم الذكر قام به أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الأموال ص ١٧٤- ١٧٥ قال : حدثني سعيد بن عفير قال : حدثني علوان بن داود - مولى أبي زرعة بن عمرو بن جرير- عن حميد بن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عبد الرَّحمن قال :

(دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه الَّذي توفي فيه ، فسلَّمت عليه وقلت . ما أرى بك بأساً ، والحمد لله ، ولا تأس على الدنيا . فوالله إنْ علمناك إلاَّ كنت صالحاً مصلحاً . فقال : أما إنِّي لا آسى على شيء إلاَّ على ثلاث فعلتهم ، وددت أنِّي لم أفعلهم ، وثلاث لم أفعلهم ودت إنِّي

فعلتهم وثلاث ودت إنّي سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عنهم .

فأمَّا الّتي فعلتها ووددت أنّي لم أفعلها ، فوددت أنّي لم أكن فعلت كذا وكذا - لخلة ذكرها ، قال أبو عبيد : لا أُريد ذكرها- .

ووددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين : عمر ، أو أبي عبيدة . فكان أميراً وكنت وزيراً .

ووددت أنّي حيث كنت وجَّهت خالداً إلى أهل الرِّدة أقمت بذي القصة ، فإن ظفر المسلمون ظفروا وإلاَّ كنت بصدد لقاء ، أو مدد .

وأمَّا الثلاث التي تركتها ووددت أنّي فعلتها : فوددت إنّي يوم أُتيت بالأشعث بن قيس أسيراً كنت ضربت عنقه ، فإنَّه يخيِّل إليَّ أنَّه لا يرى شرًّا إلاَّ أعان عليه) .

ووددت إنَّني يوم أُتيت بالفجاءة لم أكن أحرقته ، وكنت قتلته سريحاً ، أو أطلقته نجيحاًووددت أنّي حيث وجَّهت خالداً إلى أهل الشام كنت وجَّهت عمر إلى العراق ، فأكون قد بسطت يدي ، يميني وشمالي في سبيل الله .

وأمَّا الثلاث التي وددت إنّي كنت سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله : فوددت إنّي سألته فيمن هذا الأمر ، فلا ينازعه أهله ؟ ووددت إنّي كنت سألته . هل للأنصار من هذا الأمر من نصيب ؟ ووددت إنّي كنت سألته عن ميراث العمَّة وإبنة الأخ ، فإن في نفسي منها حاجة . وقد أثبت الطبري الخلة التي كره ذكرها ابن سلام ، قال في تاريخه قال : فوددت إنّي لم أكن كشفت عن بيت فاطمة وتركته ولو أُغلق على حرب) .

أقول : وقد ذكرها الذهبي أيضا في كتابه ميزان الإعتدال (ج١٠٨/٣) بترجمة علوان بن داود العجلي .

ج . ما حذفه عمر بن شبّة :

ومثله ما حذفه عمر بن شبة أو الرواة عنه ، قال : (خطب ابن عديس وعثمان محصور وقال في خطبته : إنّ ابن مسعود حدثني أنّه سمع من رسول الله صلى الله عليه وآلهيقول إنّ عثمان قال ابن شبة : وتكلّم بكلمة أكره ذكرها) [١٠] .

د . ما حذفه الطبري :

قال الطبري في حوادث سنة ٣٠ هـ : "وفي هذه السنة - أعني سنة (٣٠هـ) - كان ما ذكر من أمر أبي ذر ومعاوية وإشخاص معاوية إياه منها (أي المدينة) أمور كثيرة كرهت ذكرها ، أمّا العاذرون معاوية في ذلك فإنهم ذكروا في ذلك قصة كتب بها إلي السري يذكر : إنّ شعيباً حدّثه سيف ، عن عطيّة ، عن يزيد الفقعسي ، قال : لمّا ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذر ... الخ" .

ويقول في حوادث سنة (٣٥هـ) : "وذُكِرتْ أُمور كثيرة في سبب مسير المصريين إلى عثمان ونزولهم ذا خشب ، منها ما تقدم ذكره ، ومنها ما أعرضت عن ذكره كراهة مني لبشاعته" ، ثم يذكر رواية سيف بن عمر في ذلك تفصيلاً .

ويقول في حوادث السنة نفسها أيضاً : " ... إنّ محمد بن أبي بكركتب إلى معاوية بن أبي سفيان لمّا ولّي ، فذكر- أي هشام عن أبي مخنف- مكاتبات جرت بينهما ، كرهت ذكرها لما فيها مما لا يحتمل سماعَها

العامة" .

أقول: وقد روى هذه المكاتبات المسعودي في مروج الذهب ج٣ ص١١-١٣ ، ورواها أيضاً نصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفين ونحن ننقلها من هذا الأخير .

قال نصر :

وكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية :

من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر : سلام على أهل طاعة الله ممَّن هو مُسلِّمٌ لأهل ولاية الله ، أمَّا بعد فإنَّ الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته خلق خلقاً بلا عنت ولا ضعف في قوته ولا حاجة به إلى خلقهم ، ولكنه خلقهم عبيداً وجعل منهم شقياً وسعيداً وغوياً ورشيداً ، ثمَّ اختارهم على علمه فاصطفى وأنتخب منهم محمداً فاختصَّه برسالته واختاره لوحيه وائتمنه على أمره وبعثه رسولاً مصدِّقاً لما بين يديه من الكتب ودليلاً على الشرائع ، فدعا إلى سبيل ربَّه بالحكمة والموعظه الحسنة فكان أوّل من أجاب وأناب وصدَّق ووافق وأسلم وسلم أخوه وابن عمه عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فصدَّقه بالغيب المكتوم ، وآثره على كل حميم ، ووقاه كل هول وواساه بنفسه في كل خوف ، فحارب حربه ، وسالم سلمه ، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الأَزل ومقامات الروع حتَّى برز سابقاً لا نظير له في جهاده ولا مقارب له في فعله ، وقد رأيتك تساميه وأنت أنت وهو هو ، السابق المبرز في كلِّ خير ، أوّل الناس إسلاماً ، وأصدق الناس نية ، وأطيب الناس ذرية ، وأفضل الناس زوجة ، وخير الناس ابن عم .

وأنت اللعين ابن اللعين ، ثمَّ لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل وتجتهدان على إطفاء نور الله وتجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتحالفان في ذلك القبائل ، على ذلك مات أبوك ، وعلى ذلك خلفته ، والشاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك من بقية الاحزاب ورؤوس النِّفاق والشِّقاق لرسول الله صلى الله عليه وآله ، والشاهد لعلي مع فضله وسابقته القديمة أنصاره الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن ، ففضَّلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار فهم معه كتائب وعصائب يجالدون حوله بأسيافهم ويهريقون دماءهم دونه ، يرون الفضل في إتباعه ، والشَّقاء والعصيان في خلافه ، فكيف يا لك الويل تعدل نفسك بعلي ، وهو وارث رسول الله ووصيه وأبو ولده وأول الناس له إتباعا وآخرهم به عهداً ؟ يخبره بسرِّه ، ويشركه في أمره ، وأنت عدوٌّه وابن عدوَّه ، فتمتع ما استطعت بباطلك ، وليمدد لك ابن العاص في غوايتك فكأنَّ أجلك قد انقضى وكيدك قد وهى ، وسوف تستبين لمن تكون العاقبة العليا ، واعلم إنَّك إنَّما تكايد ربَّك الذي قد آمنت كيده ، وأيست من روحه ، وهو لك بالمرصاد ، وأنت منه في غرور وبالله وبأهل بيت رسوله عنك الغناء ، والسلام على من إتبع الهدى .

فكتب إليه معاوية :

من معاوية بن أبي سفيان إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر سلام على أهل طاعه الله ، أمَّا بعد ، فقد أَتاني كتابك ، تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه وما اصفى به نبيه ، مع كلام ألفته ووضعته لرأيك ، فيه تضعيف ، ولأبيك فيه تعنيف ، ذكرت حق ابن

أبي طالب ، وقديم سابقت وقرابته من نبي الله ، ونصرته له ، ومواساته إيَّاه في كل خوف وهول ، وإحتجاجك علىَّ ، وفخرك بفضل غيرك لا بفضلك ، فأحمد إلها صرف ذلك الفضل عنك، وجعله لغيرك .

فقد كنا وأبوك معنا في حياة نبينا ، نرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا وفضله مبرزاً علينا ، فلمَّا اختار الله لنبيه ما عنده ، وأتمَّ له ما وعده ، وأظهر دعوته وأفلج حجته ، قبضه الله إليه ، فكان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزه وخالفه على ذلك اتفقا واتسقا ، ثمَّ دعواه إلى أنفسهما ، فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما ، فَهَمَّا به الهموم وأرادا به العظيم ، فبايعهما وسلَّم لهما لا يشركانه في أمرهما ولا يطلعانه على سِرِّهما ، حتَّى قُبِضا وانقضى أمرهما .

ثمَّ أقاما بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان ، يهتدي بهديهما ويسير بسيرتهما ، فعِبْته أنت وصاحبك حتَّى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي ، وأبطنتما وأظهرتما وكشفتما له عداوتكما وغلَّكما حتَّى بلغتما منه مُناكما ، فخذ حِذرك يا بن أبي بكر ، فسترى وبال أمرك ، وقس شبرك بفترك تقصر عن أنْ تساوي أو توازي من يزن الجبال حلمه ، ولا تلينُ على قسر قناتُه ، ولا يُدرِك ذو مدى أناته أبوك مهَّد له مهاده ، وبنى ملكه وشاده ، فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوَّله ، وإنْ يكن جوراً فأبوك أسَّسه ، ونحن شركاؤه ، فبهديه أخذنا ، وبفعله اقتدينا ، رأينا أباك فعل ما فعل ، فاحتذينا مثاله ، واقتدينا بفعاله ، فعب أباك بما بدا لك ، أو دع ، والسلام على من أناب .

هـ . ما حذفه ابن عبد البر :

ومثله ما ذكره ابن عبد البر في ترجمة أبي موسى الأشعري ، قال : وكان منحرفاً عن علي لأنَّه عزله ولم يستعمله . وكان لحذيفة قبل ذلك (أي قبل مسألة العزل وعدم التولية) فيه كلام وكرهت ذكره ، والله يغفر له

أقول : قال ابن أبي الحديد : الكلام الذي أشار إليه أبو عمر بن عبد البر ولم يذكر قوله فيه ، وقد ذكر عنده (أبو موسى) بالدِّين هو قوله : (أمَّا أنتم فتقولون ذلك وأمَّا أنا فأشهد أنَّه عدُّو لله ولرسوله وحرب لهما في الحياة الدنيا ويوم القيامة يوم يقول الأشهاد ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم سوء الدار) .

قال ابن أبي الحديد : وكان حذيفة عارفاً بالمنافقين ، أسرَّ إليه رسول الله صلى الله عليه وآله أمرهم وأعلمه أسماءهم .

وقال ابن أبي الحديد أيضاً : وروي أنَّ عماراً سئل عن أبي موسى ، فقال : لقد سمعت فيه من حذيفة قولاً عظيماً ، سمعته يقول : صاحب البُرنس الأسود ، ثمَّ كلح كلوحاً ، علمت منه أنَّه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط .

الدافع الثالث : رغبة الزنادقة في التحريف

أُطلقت الزندقة ابتداءً على جماعة ماني ، القائلين بأنَّ للعالم أصلين أزليين هما النور والظلمة ، ثم أطلقت على الدهرية منكري وجود الله والنبوات والكتب المنزلة والقائلين بقدم العالم وإنكار الحياة الآخرة ... ثم أطلقت على كل من يحيى حياة المجون من الشعراء

والكتَّاب ومن شاكلهم .

وكان أقدم نص رسمي إسلامي في تعريف الزندقة هو وصية الخليفة المهدي لابنه موسى ولي عهده ، قال : يا بني إنْ صار لك هذا الأمر يعني الخلافة فتجرَّد لهذه العصابة ، يعني أصحاب ماني فإنَّها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعمل للآخرة ، ثمَّ تخرجها إلى تحريم اللمس ومس الماء الطهور وترك قتل الهوام تحرُّجاً وتحوُّباً ثمَّ تخرجها من هذه إلى عبادة اثنين أحدهما النور والآخر الظلمة ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات ... فارفع فيها الخشب وجرد فيها السيف .

وفيما يلي ترجمة لبعض من أتهم بالزندقة :

الزنديق عبد الكريم بن أبي العوجاء :

وممَّن رُمي بالزندقة عبد الكريم بن أبي العوجاء خال معن بن زائدة الشيباني قال قبل قتله : "أما والله لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرّم فيها الحلال وأحلَّ فيها الحرام والله لقد فطَّرْتكم يوم صومكم وصوّمتكم يوم فطركم" [٣] .

وكان قتله في خلافة المهدي بعد الستين ومائة .

أقول : ومن أجل أنْ تتضح مدى واقعية كلام ابن أبي العوجاء الآنف الذكر لابدَّ من ذكر ترجمة حماد بن سلمة كافل ابن أبي العوجاء ومربيه .

ترجمة حماد بن ابي سلمة :

قال ابن حجر في ترجمة حماد بن سلمة بن دينار البصري : "قال الدولابي

حدثنا محمد بن شجاع البلخي (الظاهر هو الثلجي) قال : سمعت عباد بن صهيب (ت٢١٢هـ) يقول : إنَّ حماداً كان لا يحفظ ، وكانوا يقولون : إنَّها (أي روايات التشبيه) دُسَّت في كتبه ، وقد قيل إنَّ ابن أبي العوجاء كان ربيبه فكان يدس في كتبه" .

قال ابن عدي : "حماد إمام جليل وهو مفتي أهل البصرة مع سعيد بن أبي عروبة" .

وقال أحمد ويحيى : "هو ثقة الناس" .

وقال الذهبي في ترجمته في سير أعلام النبلاء : "الإمام القدوة شيخ الاسلام وكان مع إمامته في الحديث إماماً كبيراً في العربية فقيها فصيحاً رأساً في السنة صاحب تصانيف" .

قال المزي : "روى عنه إبراهيم بن الحجاج السامي ، وإبراهيم بن أبي سويد الذَّراعوإحمد بن إسحاق الحضرمي ، وآدم بن أبي أياس (سي) ، واسحاق بن عمر بن سليط (م) ، واسحاق بن منصور السلولي (د) ، واسد بن موسى صلى الله عليه وآله ، واسود بن عامر بن شاذان (م س ق)وبشر بن السري (م ت) ، وبشر بن عمر الزهراني (ق) ، وبهز بن اسد (م د س ق) ، وحبان بن هلال (م ت س) ، وحجَّاج بن منهال (خت م ٤) ، والحسن بن بلال (سي) ، والحسن بن موسى الأشيب (م ت س ق) ، والحسين بن عروة (ق) ، وأبو عمر حفص بن عمر الضرير (د) ، وخليفة بن خياط ، وداود بن شبيب (د) ، وروح بن أسلم (ت) ، وروح بن عبادة (م) ، وزيد بن الحباب (ق) ، وزيد بن أبي الزرقاء (د) ، وشريح بن النعمان (تم س) ، وسعيد بن عبد الجبار البصري (م)وسعيد بن يحيى

اللخمي (ق) ، وسفيان الثوري وهو من اقرانه ، وسليمان بن حرب ، وأبو داود سليمان بن داود الطيالسي (ت س) ، وسويد بن عمرو الكلبي (م ت س ق) ، وشعبة بن الحجاج وهو اكبر منه ، وشهاب بن عباد العبدي (بخ) ، وشهاب بن معمر البلخي (بخ) ، وشيبان بن فروخ (م) ، وطالوت بن عباد ، والعباس بن بكار الضبي ، والعباس بن الوليد النرسي ، وعبد الله بن صالح العجلي ، وعبد الله بن المبارك (ت س) ، وعبد الله بن مسلمة القعنبي (م س) ، وعبد الله بن معاوية الجمحي (ت ق) ، وعبد الاعلى بن حماد النرسي (م د س) ، وعبد الرحمان بن سلام الجمحي ، وعبد الرحمان بن مهدي (م ت س ق) ، وعبد الصمد بن حسان ، وعبد الصمد بن عبد الوارث (م ت ق) ، وأبو صالح عبد الغفّار بن داود الحراني صلى الله عليه وآله وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج وهو من شيوخة ، وعبد الملك بن عبد العزيز أبو نصر التمار (م س) ، وعبد الواحد بن غياث (د) ، وعبيد الله بن محمد العيشي (د ت س) وعفان بن مسلم (م٤) ، وعمرو بن خالد الحراني (عج) ، وعمرو بن عاصم الكلابي (ت س ق) ، وعمرو بن مرزوق ، والعلاء بن عبد الجبار (سي) ، وغسان بن الربيع ، وأبو نعيم الفضل بن دكين ، والفضل بن عنبسة الواسطي ، وأبو كامل فضيل بن حسين الجحدري ، وقبيصة بن عقبة (ت) ، وقريش بن انس (قد) ، وكامل بن طلحة الجحدري ، ومالك بن انس وهو من اقرانه ، ومحمد بن اسحاق بن يسار وهو من شيوخه ، ومحمد بن بكر البرساني (ت س ق) ومحمد بن عبد الله الخزاعي (دق) ، وأبو النعمان محمد بن الفضل عارم (دتم س ق) ،

ومحمد بن كثير المصيصي ، ومحمد بن محبوب البناني (د)ومسلم بن ابراهيم (دس) ، ومسلم بن أبي عاصم النبيل ، وأبو كامل مظفر بن مدرك (ت س) ، ومعاذ بن خالد بن شقيق ، ومعاذ بن معاذ (ت) ، ومُهَنَّى بن عبد الحميد (دعس) ، وأبو سلمة موسى بن إسماعيل التبوذكي (خت دس ق) ، وموسى بن داود الضبي صلى الله عليه وآله ، ومؤمل بن إسماعيل (ت) ، والنظر بن شميل (م س ق) ، والنضر بن محمد الجرشي ، والنعمان بن عبد السلام ، وهدبة بن خالد (م) ، وأبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسي (خت ٤) ، والهيثم بن جميل (ق) ووكيع بن الجراح (م ق) ، ويحيى بن إسحاق السيلحيني (دت) ، ويحيى بن حسان التنيسي (مس) ، ويحيى بن حماد الشيباني (سي) ، ويحيى بن سعيد القطان (م) ، ويحيى بن الضريس الرازي ، ويزيد بن هارون (م د ت س) ، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي (ق) ، ويونس بن محمد المؤدب (م س) ، وأبو سعيد مولى بني هاشم (ق) ، وأبو عامر العقدي(ت)" [٦] .

وقال عمرو بن عاصم : "كتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألفاً" .

وقال جعفر بن عاصم : "سمعت عفان يقول كتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألفاً" .

وقال علي بن المديني : "كان عند يحيى بن ضريس الرازي عن حماد بن سلمة عشرة آلاف حديث" .

وقال أبو سلمة التبوذكي : "مات حماد بن سلمة وقد أتى عليه ست وسبعون سنةوقال المدائني مات سنة سبع وستين ومائة" .

أقول : ومعنى ذلك أنَّ ولادة حماد كانت سنة (٨٩ هـ) وكانت مرجعيته

في الفتوى في العهد العباسي وكانت قمتها في أخريات عهد المنصور إلى زمن ابنه المهدي ، وهو عهد ظهور الزنادقة وملاحقتهم وقتلهم من قبل المهدي العباسي ومنهم عبد الكريم بن أبي العوجاء المقتول بعد سنة ١٦٠ ربيب حماد بن سلمة .

ومن ذلك يتضح أنَّ قول ابن أبي العوجاء (أنَّه وضع أربعة آلاف حديث يحرم فيه الحلال ويحلُّ فيه الحرام ...) له واقعية فهو ربيب مرجع ديني يستطيع أنْ يدخل عليه في أي وقت شاء ويطالع كتبه في أي وقت يشاء فيضع فيها ما يشاء .

ولا يبعد أَنَّ بعضاً من هذه الاحاديث التي تحل الحرام ما رواه ابن عدي بأسانيد عن حماد بن سلمة عن أبي العشراء عن أبيه : "أنَّ النبي صلى الله عليه وآله سئل أما تكون الذكاة إلاَّ في الحلق أو اللَّبَّة ؟ فقال : لو طعنت في فخذها لأجزأ عنك" .

قال ابن عدي : "وأبو العشراء هذا لم يحدِّث عنه على ما تبيَّن لنا غير حماد بن سلمة ويقال أنَّ اسمه أسامة بن مالك بن قهطم وهذا الحديث معروف بحماد عن أبي العشراء وقد رواه عنه الثوري وابن جريج وأورده ابن عدي أيضاً عن غيرهما عن حماد" .

قال أحمد : "إذا رأيت من يغمزه /أي حماد بن سلمة / ، فإتهمه ، فإنَّه كان شديداً على أهل البدع إلاَّ أنَّه لَمَّا طَعَنَ في السن ساء حفظه ، فلذلك لم يحتج به البخاري وأمَّا مسلم فاجتهد فيه ، وأخرج من حديثه عن ثابت بما سمع منه قبل تغيره .. فالأحتياط أن لا يحتج به فيما يخالف الثقات" .

أقول : الذي يظهر أنَّ البخاري إنَّما ترك حديث حماد لما تكلموا فيه أنَّ بعض الكذبة أدخل في حديثه ما ليس منه .

قال ابن حجر : "وقد عرَّض ابن حبان بالبخاري لمجانبته حديث حماد حيث يقول : لم ينصف من عَدَلَ عن الاحتجاج به إلى الاحتجاج بفليح وعبد الرحمن بن عبد الله بن دينار

وإعتذر أبو الفضل بن طاهر عن ذلك لما ذكر أنَّ مسلماً خرَّج أحاديث أقوام ترك البخاري حديثهم قال : "وكذلك حماد بن سلمة إمام كبير مدحه الأئمة وأطنبوا لمَّا تكلَّم بعض منتحلي المعرفة أنَّ بعض الكذبة أدخل في حديثه ما ليس منه ، لم يخرج عنه البخاري معتمداً عليه بل إستشهد به في مواضع ليبين أنَّه ثقة ..." .

الزنديق مطيع بن إياس :

وممن اتهم بالزندقة مطيع ابن إياس من شعراء الدولة الأموية والعباسية ، كان شاعراً طريفاً خليعاً ماجناً ، انقطع في دولة بني العباس إلى جعفر بن المنصور ، إشترك في أخذ البيعة للمهدي بن المنصور وروى حديثاً للمنصور قال : "يا أمير المؤمنين حدثنا فلان عن فلان أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال : المهدي محمد بن عبد الله وأمَّه من غيرنا . ثمَّ أقبل على العباس ، فقال : أنشدك الله هل سمعت هذا ؟ فقال : نعم مخافةً من المنصور ، فلمَّا إنقضى المجلس ، قال العباس : أرأيتم هذا الزنديق إذْ كذب على الله وعلى رسوله ولم يكتف حتَّى إستشهدني على كذبه فشهدت له خوفاً ... .

الزنديق سيف بن عمر التميمي :

وممن أُتّهِم بالزندقة سيف بن عمر التميمي الذي وضع مئات الاحاديث أبرز فيها أفاضل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله سخفاء جناة ، والمغموصين في دينهم ذوي حجى وورع ودين إستطاع أنْ يدخل أساطير خرافية في التاريخ الاسلامي شوَّه بها الحقائق الاسلامية وستأتي ترجمته مفصلةً مع أُنموذج من رواياته في الباب الرابع من هذا الكتاب .

قصة الغرانيق الموضوعة ضد النبي صلى الله عليه وآله

تكوَّنت بفعل الروايات الموضوعة رؤية خاطئة لنبي الاسلام وصحابته وأوصيائه وبخاصة علي والحسن والحسين وشيعتهم ، ولازالت هذه الرؤية تتحرَّك هنا وهناك عفواً بسبب حركة الأخبار الموضوعة ، ووصولها إلى من يجهل أمر كذبها ووضعها ، أو يعلمه ولكنه يراها أنجح وسيلة يضرب بها خصمه ، كما يحاول المستشرقون والمبشرون الاستفادة من ذلك للطعن في الاسلام وتاريخه ، أوكما حاول بعض خصوم الشيعة ضرب الشيعة وتطويق حركتهم من خلالها .

قصة الغرانيق الموضوعة ضد النبي صلى الله عليه وآله

إن من أبرز الأمثلة على إستفادة بعض المستشرقين من الروايات الموضوعة هو إستفادتهم مما رواه الطبري في تفسيره وابن سعد في طبقاته **وغيرهما من** :

أنَّ النبي صلى الله عليه وآله لَمَّا تلا قوله : (**أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى**)النجم/١٩- ٢٠ ألقى الشيطان كلمتين على لسانه وهما (تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى) .

وأنَّ النبي صلى الله عليه وآله سجد ، وسجدت قريش معه ورضوا بما تكلَّم به وقالوا : قد عرفنا أنَّ الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده وأمَّا إذا جعلت لها نصيباً فنحن معك .

فلمَّا أمسى أتاه جبرئيل فعرض عليه السورة ، فلمَّا بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال : ما جئتك بهاتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أفتريت على الله ، وقلت على الله ما لم يقل ، فأوحى الله إليه : **(وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَك عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْك لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوك خَلِيلاً ، وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاك لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ، إِذًا لأَذَقْنَاك ضِعْفَ الحَيَاةِ وَضِعْفَ المَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَك عَلَيْنَا نَصِيرًا)** الإسراء/٧٣- ٧٥ . فمازال مغموماً مهموماً حتَّى نزلت **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِك مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِىّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللّه مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللّه آيَاتِهِ وَاللّه عَلِيمٌ حَكِيمٌ)**الحج/٥٢ .

وتعليقاً على هذه الروايات قال المستشرق الدنماركي ف . بوهل الأستاذ في جامعة (لايبزك) : "كان النبي مستعداً لتفهم الكلمات التي كانت تلقى إليه من ايحاءاته اللاشعورية ، وكان عليه أنْ يحارب همسات الشيطان كما تشير إليه الآية ٢٠٠ من سورة الأعراف . والآية ٩٧ من سورة المؤمنون . ولكنه بين حين وآخر يحاول أن يمزج بين الوحي وهذه النداءات الشيطانية الخفيَّة ، وإنَّ هذا ملحوظ تماماً في الآية ٩٨ من سورة النحل ، ولكي يصون نفسه من هذه النداءات كان يدعو الله ليصونه من ذلك .

لكن تشير الروايات الموثوقة المعتمد عليها أنَّ النبي سمح لنفسه أنْ تُغوى بواسطة الشيطان لمدح اللات والعزى ومناة إلى حدّ ما ، لكنَّه اكتشف زلَّته فيما بعد ثمَّ أوحيت إليه الآية ١٩ من سورة النجم" [٢] ..

وقال المستشرق (شاخت) : "إنَّ أوّل مصادر الشرع في الإسلام وأكثرها قيمة هو الكتاب ، وليس هناك من شك في قطعية ثبوته وتنزهه عن الخطأ ، على الرغم من إمكان سعي الشيطان لتخليطه" (سورة الحج الأية ٥١ : انظر نولدكه ص١٠٠) .

وقال المستشرق مونت غمري وات : "وإذا قارنَّا مختلف الروايات وحاولنا أنْ نميّز بين الوقائع الخارجية التي تتفق معها والوقائع التي يستخدمها المؤرخ لتفسير الواقع ، نلاحظ واقعتين نستطيع أنْ نعتبرهما أكيدتين ، أوّلاً رتَّل محمد في وقت من الأوقات الآيات التي أوحى بها الشيطان على أنَّها جزء من القرآن ، لأنَّه لا يمكن أنْ تكون القصة قد إخترعها مسلمون فيما بعد أو دسَّها غير المسلمين . ثمَّ أعلن محمد فيما بعد أنَّ هذه الآيات لا يجب أنْ تعتبر جزءًا من القرآن ويجب استبدالها بآيات تختلف عنها كثيراً في مضمونها . والروايات الأولى لا تحدد الوقت الذي حدث فيه ذلك . والأقرب أنْ يكون ذلك قد وقع بعد بضعة أسابيع أو أشهر .

وهناك واقعة ثالثة أو مجموعة وقائع نستطيع أنْ نكون واثقين منها . وهي أنَّه كان يجب على محمد ومعاصريه المكيين أن يشير في القرآن للآلهة اللات التي كانت معبودة في الطائف والعزى المعبودة في نخلة بالقرب من مكة ، ومناة التي كان معبدها بين مكة والمدينة .

ما تعنيه إذن الآيات الإبليسية أنَّ الإحتفالات مقبولة في المعابد الثلاثة حول مكةوأمَّا معنى الآيات التي تقول بأنَّ العبادة في هذه المعابد غير مقبولة فهي لا تحرِّم العبادة في الكعبة .

ويجب أن نعترف بأنَّ الآيات التي صححت سورة النجم تمجد الكعبة على حساب المعابد الأخرى .

إعتبر الفقهاء المسلمون ، الذين ظلُّوا بعيدين عن المفهوم الغربي الحديث للنمو التدريجي ، محمداً على أنَّه قد أخبر منذ البدء بالمضمون الكامل لعقيدة الإسلام ، فكان من الصعب عليهم أن لم ير محمد خروج الآيات الإبليسية على عقيدة الإسلام .

والحقيقة هي أنَّ توحيده كان في الأصل كما كان توحيد معاصريه المثقفين ، غامضاً ولم ير بعد أنَّ قبول هذه المخلوقات الإلهية كان يتعارض مع هذا التوحيد ، لا شك أنَّه يعتبر اللات والعزى ومناة على أنَّها كائنات سماوية أقلُّ من الله ، كما اعترفت اليهودية والمسيحية بوجود الملائكة . ويتحدث القرآن عنها في الفترة المكية باسم الجن . وإنْ كان يتحدَّث عنها في الفترة المدنية على أنَّها مجرد اسماء ، إذا كان ذلك فليس من الضروري اكتشاف سبب خاص للآيات الإبليسية ، فهي لا تدلُّ على أي تقهقر واع للتوحيد بل هي تعبير عن النظريات التي دافع عنها دائماً محمد .

وهكذا فإنَّ قيمة الآيات السياسية مهمة ، فهل إعترف محمد بصحتها لأنَّه كان يهمه كسب الأنصار في المدينة والطائف وبين القبائل المجاورة ؟

هل كان يحاول التخفيف من تأثير الزعماء القرشيين المعارضين له باكتساب عدد كبير من الأتباع ؟

ذكر هذه المعابد دليل على أنَّ نظرته أخذت في الاتساع" .

ثم يقول : "فلا شك أنَّ محمداً قد نال نجاحاً أمام زعماء قريش ليهتمُّوا بأمره ، فظهرت المحاولات لحمله على الإعتراف بصورة أو بأخرى بالعبادة في المعابد المجاورة ، وكان في أوّل الأمر مستعداً لذلك لسبب المنافع المادية ولأنَّه كان يشعر أنَّ ذلك يساعده على تحقيق مهمته بسهوله، ثمَّ أدرك شيئاً فشيئاً عن طريق النصح الالهي أنَّ ذلك كان تسوية مميتة فأعدَّب مشروعاً لتحسين وسائله بالمحافظة على الحقيقة كما كانت تظهر له ، فأعلن رفض الشرك بألفاظ شديدة تغلق الباب في وجه كل تسوية .

قال العلامة العسكري : "أنتجت الروايات السابقة ما قاله الاستاذ روجيه جارودي مرشَّح الحزب الشيوعي - سابقاً - لمنصب رئيس الجمهورية الفرنسية بعد أنْ أسلم في حوار له مع الاستاذ سعد الدين كالآتي :

(قرأت القرآن الكريم ، وأعدت قراءته مرّات كثيرة ، ولا أدري إنْ كنت قد فهمته جيداً بالطريقة التي يجب على الإنسان أنْ يفهمه بها أم لا ، فقد بدا لي أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله جاء بدين عظيم هو أساس الأديان ، لم ينكر فيه الأنبياء السابقين ، بل جاءت رسالته متمِّمة ومكمِّلة للرسالات السابقة ، ثم شرعت في قراءة الأحاديث النبويَّة ، وعندما أُتيح لي السفر إلى المدينة المنورة قمت بشراء وإقتناء

مجموعة الاحاديث في كتب البخاري ومسلم فرأيت شيئاً آخر أعبِّرُ عنه بهذه العبارة الصريحة رأيتني وكأنَّني أمام دين آخر ونشأ في نفسي إنطباع من قراءاتي للحديث الشريف أنَّني أمام دين تقليدي . فكلَّ ما وجدته في كتب الاحاديث وكلَّ ما رأيت للرسول صلى الله عليه وآله يتحدث عنه أو يشير إلى فعله يتعلق بلبس الثياب أو كيفية الدخول للمكان والخروج منه وأشياء أخرى من هذا القبيل . لا كما رأيت في القرآن الكريم عن الأساسيات التي تدلُّ على كمال الدين الاسلامي" .

الامام الحسن عليه السلام في كتابات المستشرقين

إستفاد المستشرقون من الروايات الكاذبة التي تتحدث عن سيرة الحسن عليه السلام ليكوِّنوا رؤية مشوَّهة ونظرة سيئة عن الإمام الحسن عليه السلام انتشرت في موسوعاتهم وفيما يلي جملة من هذه الروايات الموضوعة [1] ، وبعض كلمات المستشرقين :

روى ابن سعد في طبقاته : "أنَّ عليّاً مرَّ على قوم قد إجتمعوا على رجل ، فقال : من هذا ؟ قالوا : الحسن قال : طحن إبل لم تعوَّد طحناً ، إنَّ لكل قوم صُدّاداً وإنَّ صدادنا الحسن"

وروى أيضاً عن المسيَّب بن نجبة قال : "سمعت عليّاً يقول : ألا أُحدِّثكم عنِّي وعن أهل بيتي ، أمَّا عبد الله بن جعفر فصاحب لهو ، وأمَّا الحسن بن علي فصاحب جفنة وخوان فتى من فتيان قريش ، لو قد التقت حلقتا البطان لم يغن في الحرب عنكم شيئاً وأمَّا أنا وحسين فنحن منكم وأنتم منَّا" .

وروى أيضاً عن علي عليه السلام إنَّه قال : "مازال الحسن يتزوج ويطلق حتَّى خشيت أنْ يكون يورثنا عداوة في القبائل" .

وروى أبو الفرج في الأغاني : "إنَّ عليّاً عليه السلام أوعز إلى إبنه (الحسن) أنْ يقوم بجلد الوليد ، فرفض الحسن وقال له : مالك ولهذا ؟ يكفيك غيرك ، فردَّ عليه والده : بل ضعفت ووهنت وعجزت" .

وروى ابن عساكر : "أنَّه عليه السلام تزوج سبعين امرأة" ، وفي رواية أنه أحصن تسعين امرأة .

وفي المقدسي في البدء والتاريخ : "أنَّه عليه السلام كان أرخى ستره على مأتي حرة" .

وروى ابن عساكر أيضاً عن هشام عن محمد بن سيرين قال : "تزوج الحسن بن علي إمرأة فبعث إليها بمأة جارية مع كلِّ جارية ألف درهم" .

وروى ابن عساكر أيضاً وغيره : "أنَّ الحسين قال للحسن : اعيذك أن تكذب عليا في قبره وتصدق معاوية ، فقال : الحسن والله ما اردت أمراً قط الاّ خالفتني الى غيره" [٩] .

وفي ضوء هذه الروايات وأمثالها كتب لامنس عن الحسن عليه السلام قوله :

"ويلوح أنَّ الصفات الجوهرية التي كان يتصف بها الحسن هي الميل إلى الشهوات والإفتقار إلى النشاط والذكاء ... وقد أنفق خير سني شبابه في الزواج والطلاق ، فأحصي له حوالي المائة زيجة عدّاً ، والصقت به هذه الأخلاق السائبة لقب المطلاق ، وأوقعت عليّاً في

خصومات عنيفة ، وأثبت الحسن كذلك أنَّه مبذر كثير السرف فقد اختصَّ كلاً من زوجاته بمسكن ذي خدم وحشم وهكذا نرى كيف كان يبعثر المال أيام خلافة علي التي اشتدَّ عليها الفقر ... ولم يكن الحسن على وفاق مع الحسين" .

ويظهر أنَّ لامنس لم يكن ضحية تلك الروايات الموضوعة في تشويه صورة الإمام الحسن عليه السلام حسب ما لديه بل صار يرفض الحقيقة التي روتها كتب التاريخ حول نهايته بالسم على يد زوجته بعد أن غرَّر بها معاوية ، قال لامنس في آخر الترجمة : "وتوفي الحسن في المدينة بذات الرئة ولعل إفراطه في الملذات هو الذي عجَّل منيته ، وقد بُذلت محاولة لإلقاء تبعة موته على رأس معاوية ، وكان الغرض من هذا الاتهام وصم الأمويين بهذا العار ولم يجرؤ على القول بهذا الاتهام الشنيع جهرة سوى المؤلفين من الشيعة أو أولئك الذين كان هواهم مع العلوية بنوع خاص . وقد أعطى هذا الإتهام في الوقت نفسه فرصة للإيقاع بأسرة الأشعث بن قيس المبغَضَة من الشيعة ، لما كان لها من شأن في الإنقلاب الذي حدث يوم صفين ، وما كان معاوية بالرجل الذي يقترف إثماً لا مبرر له . كما إنَّ الحسن المستهتر كان قد أصبح مسالماً منذ أمد طويل وكانت حياته عبئاً على بيت المال الذي أبهضه مطالبه المتكررة ومن اليسير أن نعلل إرتياح معاوية وتنفُّسه الصعداء عند ما سمع بمرض الحسن" .

الروايات الموضوعة ضد الشيعة

أ . رواية سيف بن عمر توفي في الفترة (١٧٠ـ ١٩٣) :

استفاد خصوم الشيعة من الروايات التي وضعها سيف بن عمر في حوادث الثورة على عثمان لضرب عقيدة الشيعة بالوصية ، حيث يقول في رواياته : أن عبدالله بن سبأ كان يهودياً من أهل صنعاء من أَمة سوداء ، أسلم على زمن عثمان ثم تنقَّل في بلاد المسلمين يحاول إضلالهم ، فبدأ بالحجاز ، ثمَّ البصرة ، ثمَّ الكوفة ، ثمَّ الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام ، فأخرجوه حتَّى أتى مصر فاعتمر فيهم ، فقال لهم فيما كان يقول : أنَّه كان ألف نبي ولكلِّ نبي وصي ، وكان علي عليه السلام وصيَّ محمد صلى الله عليه وآله ، ثمَّ قال : محمد خاتم النبيين ، وعلي خاتم الأوصياء ، ثمَّ قال بعد ذلك : من أظلم ممَّن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وآلهووثب على وصي رسول الله صلى الله عليه وآله ثمَّ تناول الأئمة ، ثمَّ قال لهم بعد ذلك : إنَّ عثمان قد جمع أموالاً اخذها بغير حقِّها ، وهذا وصي رسول الله ، فانهضوا في هذا الأمر فحرِّكوه ، وابدءوا بالطعن على أمرائكموأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتستميلوا الناس ، وادعوا إلى هذا الامر .

وهذه الرواية ينفرد بها سيف بن عمر ، وقد قال أهل الجرح والتعديل إنَّه كذاب وضَّاع .

ب . رواية عبد الرحمن بن مالك بن مغول تـ ١٩٥ :

وكذلك استفادوا من رواية عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه عن الشعبي أنَّه قال : قال لي الشعبي : وأحذِّركم هذه الأهواء المظلة

وشرُّها الرافضة لم يدخلوا في الإسلام رغبةً ولارهبةً ولكن مقتاً لأهل الإسلام وبغياً عليهم قد حرَّقهم علي عليه السلام بالنَّار ونفاهم إلى البلدان منهم عبد الله بن سبأ يهودي من صنعاء نفاه إلى ساباط ، وعبد الله بن يسار نفاه إلى خازر ، وآية ذلك محنة الرافضة محنة اليهود قالت اليهود : لايصلح الملك إلاَّ في آل داود ، وقالت الرافضة : لاتصلح الإمامة إلاَّ في ولد علي ، وقالت : لا جهاد في سبيل الله حتَّى يخرج المهدي وينادي منادي من السماء ...

وهذه الرواية ينفرد بها عبد الرحمن بن مالك بن مغول وهو كذَّاب وضَّاع .

وإلى هذه الروايتين وأمثالها إستند ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) ومن كان قبله ومن جاء بعده ممن أخذ عنه ليقول إنَّ التشيُّع أصله عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أسلم على عهد عثمان .

قال ابن تيمية : "وقد علم أهل العلم أنَّ أوّل ما ظهرت الشيعة الإمامية المدعية للنَّص في أواخر أيام الخلفاء الراشدين وأفترى ذلك عبد الله بن سبأ .

وقال الدكتور سليمان العودة من المعاصرين : إنَّ عبد الله بن سبأ هو أصل التشيع

أقول : مما لا شك فيه إنَّ المسلمين على عهد الرسول صلى الله عليه وآله كانوا فئة واحدة فيهم المؤمن والمنافق ثمَّ حصل التفرق والإختلاف والإقتتال بعده ثمَّ وضعت الأحاديث لتكريس التفرق والإختلاف ولا سبيل لإعادة الوحدة إلى الأمة إلاَّ بفرز الأحاديث الموضوعة وتشخيصها

وفق منهج علمي سليم وهو ما ينبغي أنْ يتحرك نحوه علماء الأمة ومتخصصوها ثمَّ يعلنوا عن دراساتهم وبحوثهم لتأخذ مجراها وتؤدي دورها بهدوء وتوؤدة